سلسلة كتب / كتاب رقم (١)

قصص وعبر وبعض آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

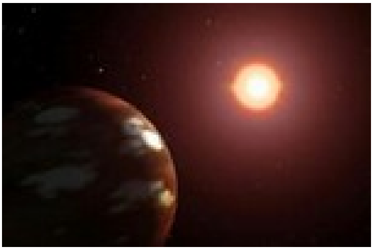

د. وائل محمد سعد الجرساني

دكتوراه في فلسفة التربية – جامعة القاهرة

٢٠١٧ م

عنوان الكتاب

قصص وعبر وبعض آيـــات الإعجاز

العلمى في القرآن الكريم

تـأليـف : د/ وائل محمد سعد الجرسانى

الطبعة الأولى

٢٠١٧

رقم الإيداع : ٢٣٢٠ / ٢٠١٧

I.S.B.N: 978-977-6338-32-6

إدارة الإيـــداع القـــانونى

بدار الكتب المصرية

المونتـــاج و الاخـــراج

م / أشرف جمعة

تليفون : ٠١٢٢٦٩٢٦٩٦٣

عدد الصفحات : ٢٥٢ صفحة

عـــدد المـــلازم : ١٦ ملزمـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"

(سورة فُصلت: آية ٥٣)

إهداء

*إلى أمي الغالية الحنونة وفاءً وتقديرًا لها، التي تعجز الكلمات عن تقدير عطائها لي،أَمَدّ الله في عمرها ومتّعَها بالصحة والعافية.

*إلى أخي الغالي د. سامح وزوجته الفاضلة الدكتورة أمل،رمز كفاح ومشوار طويل.

*إلى القلب الطيب الذي ألجأ إليه في شدتي، إلى رفيقة حياتي زوجتي هبه إجلالًا وتقديرًا لها.

*إلى الأمل المشرق الذي أهفو إليه في فرحتي،أبنائي الأحبة هبه وعبد الرحمن حقق الله رجاءهم وبارك الله فيهم.

المؤلف

د. وائل سعد الجرساني

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل هذا القرآن مليئًا بالمعجزات، وصلى الله على من كان القرآن خُلقَه ومنهجه وإمامه، وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

في هذا الكتاب تتجلّى أمامنا كنوز ودُرَر ولآلئ من بحر إعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه ولا تفنى معجزاته.

فقد ثبُت علميًا وبما لا يقبل الجدل أن القرآن العظيم تحدّث عن العديد من الحقائق العلمية والكونية قبل أن يكتشفها العلم الحديث بأربعة عشر قرنًا.

سوف نعيش من خلال الفقرات القادمة مع بعض الحقائق التي أخبر عنها القرآن الكريم في علوم البحار والجبال والفلك والأرض والسحاب والرياح والطب والنبات.

وسوف نرى أن القرآن تحدث عن هذه الحقائق بلغة علمية دقيقة وتعابير لغوية محكمة، تدل على أن هذا القرآن كلام الله الحقّ، وأن محمّدًا عليه صلوات الله وسلامه لاينطق عن الهوى، بل هو رسول الله إلى الناس كافة.

ويجب أن نتذكر دائمًا أن الإعجاز العلمي ليس هدفًا بحدّ ذاته، إنما الهدف هو زيادة التثبيت اليقيني بالله عزّ وجلّ، وزيادة الخوف والخشوع أمام عَظَمَة كتاب الله تعالى، الذي قال عنه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف

د. وائل سعد الجرساني ....

﴿ الجزء الأول ﴾

قصص وعبر وبعض آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

أولاً: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

إليكم قطرة من بحر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

نبدأ أولاً بالإعجاز في القرآن الكريم:

- **ذكرت كلمة الأيام ٣٦٥ مرة، وهو عدد أيام السنة.**
- **ذُكِر اليوم منفردًا ٣٠ مرة، وهو عدد أيام الشهر.**
- **ذُكر القمر ١٢ مرة، وهو عدد الأشهر القمرية.**
- **ذُكر الشهر ١٢ مرة، وهو عدد أشهر السنة.**
- **ذُكر الإيمان ٢٥ مرة، والكفر ٢٥ مرة أيضًا.**
- **ذُكرت الدنيا ١١٥ مرةوالآخرة ١١٥ مرة أيضًا.**
- **ذُكرت كلمة الملائكة ٨٨ مرة، والشيطان ٨٨ مرة.**
- **ذُكرتكلمة الناس ٥٠ مرة، والأنبياء٥٠ مرة.**
- **ذُكرتكلمة الرجال ٢٤ مرة، والنساء ٢٤ مرة أيضًا.**
- **ذُكرت كلمة الحياة ١٤٥ مرة، والموت ١٤٥ مرة.**
- **ذكرت الحسنات ١٦٧ مرة، والسيئات أيضًا ١٦٧ مرة.**
- **ذُكرت كلمة السموات ٧ مراتعلى عددها.**
- **ذكر العقاب ١١٧ مرة،والمغفرة ٢٣٤ مرة.**

- دقق بالأخيرة مقدار الضعف.
- ماأجمل هذا الدين العادل وما أعظم كتابك ياربي!
- حروف لفظ الجلالة (الله) هي نفسها حروف.

(لا إله إلا الله).. هل يستطيع أعظم مؤلف في العالم أن يؤلف جملة من نفس حروف اسمه، ويتحدث فيها عن نفسه، كما تحدث الله عن نفسه بجملة بليغة ووجيزة، مثل: (لا إله إلا الله).

وأحببت أن أطلعكم على هذه أيضًا:

في القرآن الكريم شيء مذهل جدًا، "يسألونك عن الأهلة: قل".

"يسألونك عن اليتامى: قل".

"يسألونك عن المحيض: قل".

"يسألونك عن الخمر والميسر: قل".

"يسألونك ماذا ينفقون: قل".

"يسألك الناس عن الساعة: قل".

في كل الآيات السابقة تأتي بعد السؤال كلمة قل، (أي يامحمد)، ماعدا آية واحدة وهي قوله تعالى: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني".

فلم يقل: فقل إني قريب، أي لا وساطة في أمر الدعاء.

أترك لكم هنا التلذذ بهذا المعنى.

كما أعجبني قول الله عزَ وجل في سورة الحديد: "وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس"، حيث قال "أنزلنا" ولم يقل "خلقنا"!

يقول العلماء: "إن الحديد لم يُتكّون من داخل الأرض كغيره من المعادن، وإنما نُزّل من السماء عند تكوين الأرض،والمفاجأة ستحصل عند معرفة أن الحديد لم يُتكوّن حتى داخل مجموعتنا الشمسية وإنما خارجها.

فتكوين الحديد يستلزم طاقة غير موجودة على الأرض ولا حتى في المجموعة الشمسية! فيكفي أن نعرف أن الاندماج النووي اللازم لتكوين ذرات الحديد يستلزم درجة حرارة تقدر بـــ ٥ بلايين

درجة مئوية، وهذه الحرارة غير متوفرة حتى في الشمس، وتبلغ درجة سطحها ٦٠٠٠ درجة و مركزها مليون درجة.

ويبلغ الوزن الذري للحديد ٥٧ وهو ترتيب السورة في القرآن، والعدد الذري للحديد ٢٦، وهو رقم الآية في السورة.

لا يمكن أن يكون هذا التلاقي مصادفة.

ويتكون قلب الأرض "مركز الكرة الأرضية" من الحديد، ووجود الحديد بنسبة كبيرة هناك هو ما يعطي للكرة الأرضية مجالها المغناطيسي الذي يحافظ على غلافها الجوي ويحميها من الأشعة فوق البنفسجية المنبعثة من الشمس، فلولاه لانتهت الحياة على كوكب الأرض!

المفارقة أن سورة الحديد تقع في قلب القرآن مثلما أن الحديد يقع في قلب الأرض!

كما أن ترتيب سورة الحديد ٥٧، وسور القرآن ١١٤.

علماء الغرب اكتشفوا حيوانًا لا يشرب الماء، أقاموا الدنيا وفرحوا لأنهم وجدوا ما يكذّب القرآن، الذي يقول:(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)،(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)، (وكان الله لهم بالمرصاد).

تتعدد عجائب الدنيا الدالة على عظمة الخالق وقدرته سبحانه وتعالى،فالحيوان الذي نحن بصدد ذكره اليوم فيه العديد من العجائب، فكلنا نعرف أهمية الماء للكائنات الحية، قال الله تعالى:(وجعلنا من الماء كل شيء حي) "الأنبياء ٣٠"، فكل شيء في هذه الحياة يحتاج للماء للبقاء حياً، وهذا تعميم على جميع الكائنات الحية، ولكن اكتشف العلماء حيواناً لايشرب الماء، والأدهى من ذلك أنه إذا شرب الماء يموت.

سنتعرف معكم على هذا الحيوان الذي لايشرب الماء، وهو (الفأر) (الكنغر البري)، يعيش في صحراء (نفادا) في أمريكا لا يشرب الماء إطلاقاً مع أنه يعيش في الصحراء، استأنسوه ووضعوه في مزارع وحاولوا أن يسقوه الماء فكانت النتيجة أنه

(مات) ،مع أن الآيه الكريمة تقول: (وجعلنا من الماء كل شيء حي) "الأنبياء ٣٠"، وهذا تعميم رباني لا استثناء فيه،إذ ًا أين المخرج...؟؟

عندما درسوا هذا الحيوان وجدوا أنه بالإضافة لجهازه الهضمي والتنفسي والدوري يوجد لديه (مصنع لتركيب الماء)، مصنع بكل ماتعنيهالكلمة من معنى (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)(النمل ٨٨).

يأكل هذا الحيوان نوعًا من الحبوب موجودة في بيئته ،هذه الحبوب (جافة جد ا)، ليس فيها قطرة ماء بعد هضمها في الجهاز الهضمي تنتج غاز الهيدروجين "H_2".

كلنا نعرف أن الماء مُكوّن من ذَرّتي ْهيدروجين وذرة أكسجين"H_2O "، وهو يحصل على الأكسجين من الهواء، فيقوم مصنع المياه الداخلي بتركيب ذرتين من الهيدروجين الناتجتين من الجهاز الهضمي وذرة من الأكسجين الناتجة من الجهاز التنفسي ويكون الماء داخلياً، ليظل التعميم الرباني: (وجعلنا من الماء كل شيء حي).

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (لقمان ١١) .

(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) .

(الأنفال ٣٠).

سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

هذا من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، فلم يكن العلماء يعلمون أن الماء يدخل في تركيب كل كائن حي، بينما هو مذكور في القرآن منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة،سبحان الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

١) قال تعالى: (ثم اسْتَوَى إِلَى السَّمَاْءِ وَهِيَ دُخَاْنٌ).أُلقِيَت هذه الآيات في المؤتمر العلمي للإعجاز القرآني الذي عقد في القاهرة، ولما سمع البروفيسور الياباني (يوشيدي كوزاي) تلك الآية نهض مندهشًا، وقال: "لم يصل العلم والعلماء إلى هذه الحقيقة المذهلة إلا منذ عهد قريب بعد أن التقَطت

كاميرات الأقمار الاصطناعية القوية صورًا وأفلامًا حية تظهر نجمًا وهو يتكون من كتلة كبيرة من الدخان الكثيف القاتم، ثمأردف قائلًا:"إن معلوماتنا السابقة قبل هذه الأفلام والصور الحية كانت مبنية على نظريات خاطئة مفادها أن السماء كانت ضبابًا"،كما قال:"بهذا نكون قد أضفنا إلى معجزات القرآن معجزة جديدة مذهلة أكدت أن الذي أخبر عنها هو الله الذي خلق الكون قبل مليارات السنين".

٢) قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.

لقد بلغ ذهول العلماء في مؤتمر الشباب الإسلامي الذي عقد في الرياض ١٩٧٩م ذروته عندما سمعوا الآية الكريمة، وقالوا: "حقًا لقد كان الكون في بدايته عبارة عن سحابة سديمية دخانية غازية هائلة متلاصقة، ثم تحولت بالتدريج إلى ملايين الملايين من النجوم التي تملأ السماء، عندها صرح البروفيسور الأمريكي (بالمر) قائلًا:"إن ما قيل لا يمكن بحال من الأحوال أن ينسب إلى شخص مات قبل ١٤٠٠ سنة،

لأنه لم تكن لديه تليسكوبات ولا سفن فضائية تساعد على اكتشاف هذه الحقائق، فلا بد أن الذي أخبر محمدًا هو الله"، وقد أعلن البروفيسور(بالمر) إسلامه في نهاية المؤتمر.

٣) قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء٣٠).

وقد أثبت العلم الحديث أن أي كائن حي يتكون من نسبة عالية من ا لماء، وإذا فقد ٢٥ في المائة من مائة، فإنه سيقضي نحبه لامحالة لأن جميع التفاعلات الكيماوية، داخل خلايا أي كائن حي لا تتم إلا في وسط مائي، فمن أين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بهذه المعلومات الطبية؟

٤) قال تعالى:"وَالسَّمَاْءَ بَنَيْنَاْهَاْ بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوْسِعُوْنَ" (الذاريات).

لقد أثبت العلم الحديث أن السماء تزداد سعة باستمرار، فمن أخبر محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الحقيقة في تلك العصور المتخلفة؟ هل كان يملك تليسكوبات وأقمارًا اصطناعية أم أنه وحي من عند الله خالق هذا الكون العظيم؟

أليس هذا دليلًا قاطعًاعلى أن هذا القرآن حق من الله ؟

٥) قال تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِيْ لِمُسْتَقَرٍّ لَهَاْ ذَلِكَ تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ)،(يس).

وقد أثبت العلم الحديث أن الشمس تسير بسرعة ٤٣٢٠٠ ميل في الساعة، وبما أن المسافة بيننا وبين الشمس ٩٢مليون ميل فإننا نراها ثابتة لا تتحرك، وقد دُهِش بروفيسور أمريكي لدى سماعه تلك الآية القرآنية، وقال:"إني لأجد صعوبة بالغة في تصور ذلك العلم القرآني الذي توصّل إلى مثل هذه الحقائق العلمية التي لم نتمكن منمعرفتها إلا منذ عهد قريب".

٦) قال تعالى: (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَاْ يَصَّعَّدُ فِيْ السَّمَاْءِ).

عندما تركب طائرة وتطير بك وتصعد في السماء بماذا تشعر؟ ألا تشعر بضيق في الصدر؟ فبرأيك من الذي أخبر محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بذلك قبل ١٤٠٠ سنة؟ هل كان يملك مركبة فضائية خاصة به استطاع من خلالها أن يعرف هذه الظاهرة الفيزيائية أم أنه وحي من الله تعالى؟

٧) قال تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُوْنَ﴾ (يس ٣٧)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيْحَ﴾.

حسبما تشير إليه الآيتان الكريمتان، فإن الكون غارق في الظلام الداكن وإن كنا في وضح النهار على سطح الأرض، وقد شاهد العلماء الأرض وباقي الكواكب التابعة للمجموعة الشمسية مُضاءة في وضح النهار، بينما السماوات من حولها غارقة في الظلام، فمن كان يدري أيام محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن الظلام هو الحالة المهيمنة على الكون، وأن هذه المجرات والنجوم ليست إلا مصابيح صغيرة واهنة لا تكاد تبدّد ظلام الكونالدامس المحيط بها، فبدت كالزينة والمصابيح لا أكثر؟ وعندما قُرِئت هذه الآيات على مسمع أحد العلماء الأمريكيين بهت وازداد إعجابه إعجابًا ودهشته دهشة بجلال وعظمة هذا القرآن، وقال فيه:"لا يمكن أن يكون هذا القرآن إلا كلامًا مصمِّمًا لهذا الكون، العليم بأسراره ودقائقه".

٨) قال تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا).

أثبت العلم الحديث وجود الغلاف الجوي المحيط بالأرض والذي يحميها من الأشعة الشمسية الضارة والنيازك المدمرة فعندما تلامس هذه النيازك الغلاف الجوي للأرض، فإنها تستعر بفعل احتكاكها به، فتبدو لنا ليلًا على شكل كتل صغيرة مضيئة تهبط من السماء بسرعة كبيرة، قُدّرت بحوالي ١٥٠ ميلاً في الثانية ثم تنطفئ بسرعة وتختفي وهذا ما نسميه بالشهب، فمن أخبر محمدًا (ﷺ) بأن السماء كالسقف تحفظ الأرض من النيازك والأشعة الشمسية الضارة؟ أليس هذا من الأدلة القطعية على أن هذا القرآن من عند خالق هذا الكون العظيم؟

٩) قال تعالى: (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا)، وقال: (وَأَلْقى فِيْ الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيْدَ بِكُمْ).

بما أن قشرة الأرض وما عليها من جبال وهضاب وصحارٍ، تقوم فوق الأعماق السائلة والرخوة المتحركة المعروفة باسم (طبقة السيما)، فإن القشرة الأرضية وما عليها ستميد

وتتحرك باستمرار وسينجم عن حركتها تشققات وزلازل هائلة تدمر كل شيء، ولكنّ شيئًا من هذا لم يحدث، فما السبب؟

لقد تبين منذ عهد قريب أن ثلثي أي جبل مغروس في أعماق الأرض وفي (طبقة السيما)، وثلثه فقط بارز فوق سطح الأرض لذا فقد شبه الله تعالى الجبال بالأوتاد التي تمسك الخيمة بالأرض كما في الآية السابقة، وقد أُلقِيَت هذه الآيات في مؤتمر الشباب الإسلامي الذي عقد في الرياض عام ١٩٧٩، وقد ذُهِل البروفيسور الأمريكي (بالمر) والعالم الجيولوجي الياباني (سياردو)، وقالا: "ليس من المعقول بشكل من الأشكال أن يكون هذا كلام بشر، وخاصة أنه قيل قبل ١٤٠٠ سنة، لأننا لم نتوصل إلى هذه الحقائق العلمية إلا بعد دراسات مستفيضة مستعينين بتكنولوجيا القرن العشرين، التي لم تكن موجودة في عصر ساد فيه الجهل والتخلف كافة أنحاء الأرض"، كما حضر النقاش العالم (فرانك بريس) مستشار الرئيس الأمريكي (كارتر) والمتخصص في علوم

الجيولوجيا والبحار،حيث قال مندهشًا:"لا يمكن لمحمد أن يُلِمّ بهذه المعلومات، ولا بد أن الذي لقّنه إياها هو خالق هذا الكون، العليم بأسراره وقوانينه وتصميماته".

١٠) . قال تعالى: (وَتَرَى الْجِبَاْلَ تَحْسَبُهَاْ جَاْمِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَاْبِ صُنْعَ اللهِ الَّذِيْ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ).

كلنا يعلم أن الجبال ثابتة في مكانها، ولكننا لو ارتفعنا عن الأرض بعيدًا عن جاذبيتها وغلافها الجوي، فإننا سنرى الأرض تدور بسرعة هائلة (١٠٠٠ميل في الساعة)، وعندها سنرى الجبال وكأنها تسير سير السحاب أي أن حركتها ليست ذاتية بل مرتبطة بحركة الأرض تمامًا كالسحاب الذي لا يتحرك بنفسه بل تدفعه الرياح، وهذا دليل على حركة الأرض، فمن أخبر محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بهذا؟ أليس الله ؟

١١) قال تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَاْنبَيْنهُمَاْ بَرْزَخٌ لاْ يَبْغِيَاْنِ) (الرحمن).

لقد تبين من خلال الدراسات الحديثة أن لكل بحر صفاته

الخاصة به، والتي تميزه عن غيره من البحار، كشدة الملوحة ووزن الماء حتى لونه الذي يتغير من مكان إلى آخر بسبب التفاوت في درجة الحرارة والعمق وعوامل أخرى، والأغرب من هذا اكتشاف الخط الأبيض الدقيق الذي يرتسم نتيجة التقاء مياه بحرين ببعضهما، وهذا تمامًا ما ذكر في الآيتين السابقتين، وعندما نوقش هذا النص القرآني مع عالِم البحار الأمريكي البروفيسور (هيل)، وكذلك العالِم الجيولوجي الألماني (شرايدر)، أجابا قائلين:"إن هذا العلم إلهي مائة بالمائة وبه إعجاز بَيِّن، وأنه من المستحيل على إنسان أُمِّي بسيط كمحمد أن يلم بهذا العلم في عصور ساد فيها التخلف والجهل".

١٢) قال تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ).

وهذا ما أثبته العلم الحديث، إذ إن من فوائد الرياح أنها تحمل حبات الطَّلْع لتلقيح الأزهار التي ستصبح فيما بعد ثمارًا، فمن أخبر محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بأن الرياح

تقوم بتلقيح الأزهار؟ أليس هذا من الأدلة التي تؤكد أن هذا القرآن كلام الله؟

١٣) قال تعالى: ﴿كُلَّمَاْ نَضَجَتْ جُلُوْدُهُمْ بَدَّلْنَاْهُمْ جُلُوْدًا غَيْرَهَاْ لِيَذُوقُواْ الْعَذَاْبَ﴾.

١٤) أثبت العلم الحديث أن الجسيمات الحسية المختصة بالألم والحرارة تكون موجودة في طبقة الجلد وحدها، ومع أن الجلد سيحترق مع ما تحته من العضلات وغيرها إلا أن القرآن لم يذكرها لأن الشعور بالألم تختص به طبقة الجلد وحدها، فمن أخبر محمدًا بهذه المعلومة الطبية؟ أليس الله ؟

١٥) قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاْتٍ فِيْ بَحْرٍ لُجّيٍّ يَغْشَاْهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَاْبٌ ظُلُمَاْتٌ بَعْضُهَاْ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَاْ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُدْ يَرَاْهَاْ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوْرًا فَمَاْلَهُ مِنْ نُّوْرٍ﴾.

لم يكن بإمكان الإنسان القديم أن يغوص أكثر من ١٥ مترًا لأنه كان عاجزًا عن البقاء دون تنفس أكثر من دقيقتين، ولأن عروق جسمه ستنفجر من ضغط الماء، وبعد أن توفرت

الغواصات في القرن العشرين تبين للعلماء أن قيعان البحار شديدة الظلمة، كما اكتشفوا أن لكل بحر لُجّي طبقتين من المياه، الأولى عميقة وهي شديدة الظلمة ويغطيها موج شديد متحرك، وطبقة أخرى سطحية وهي مظلمة أيضًا وتغطيها الأمواج التي نراها على سطح البحر، وقد دُهش العالم الأمريكي (هيل) من عظمة هذا القرآن وزادت دهشته عندما نوقش معه الإعجاز الموجود في الشطر الثاني من الآية (سَحَاْبٌ ظُلُمَاْتٌ بَعْضُهَاْ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَاْ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُدْ يَرَاْهَاْ)، وقال:"إن مثل هذا السحاب لم تشهده الجزيرة العربية المشرقة أبدًا، وهذه الحالة الجوية لا تحدث إلا في شمال أمريكا وروسيا والدول الاسكندنافية القريبة من القطب، والتي لم تكن مكتشفة أيام محمد (ﷺ) ، ولا بد أن يكون هذا القرآن كلام الله".

١٦) قال تعالى: (غُلِبَتِ الرُّوْمُفِيْ أَدْنَى الأَرْضِ) "الروم ٢-٣"

أدنى الأرض تعني البقعة الأكثر انخفاضًا عن سطح الأرض، وقد غُلِبَت الروم في فلسطين قرب البحر الميت، ولما نوقشت

هذه الآية مع العالم الجيولوجي الشهير (بالمر) في المؤتمر العلمي الدولي الذي أقيم في الرياض عام ١٩٧٩، أنكر هذا الأمر فورًا وأعلن للملأ أن هناك أماكن عديدة على سطح الأرض أكثر انخفاضًا، فسأله العلماء أن يتأكد من معلوماته، ومن مراجعة مخططاته الجغرافية، فوجئ العالم (بالمر) بخريطة من خرائطه تبين تضاريس فلسطين وقد رسم عليها سهمًا غليظًا يشير إلى منطقة البحر الميت، وقد كتب عند قمته (أخفض منطقة على سطح الأرض)، فذُهش البروفيسور وأعلن إعجابه وتقديره، وأكد أن هذا القرآن لا بد أن يكون كلام الله.

١٧) قال تعالى: (يَخْلُقُكُمْ فِيْ بُطُوْنِ أُمَّهَاْتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِيْ ظُلُمَاْتٍ ثَلاْثٍ).

لم يكن محمد طبيبًا، ولم يتسنَ له تشريح سيدة حامل، ولم يتلقَ دروسًا في علم التشريح والأجنة، بل ولم يكن هذا العلم معروفًا قبل القرن التاسع عشر، إن معنى الآية واضح تمامًا،

وقد أثبت العلم الحديث أن هناك ثلاثة أغشية تحيط بالجنين، وهي:

أولاً: الأغشية الملتصقة التي تحيط بالجنين وتتألف من الغشاء الذي تتكون منه بطانة الرحم والغشاء المشيمي والغشاء السلي وهذه الأغشية الثلاث تشكل الظلمة الأولى لالتصاقها ببعضها.

ثانيًا: جدار الرحم وهو الظلمة الثانية.

ثالثًا: جدار البطن وهو الظلمة الثالثة.

فمن أين لمحمد (ﷺ) بهذه المعلومات الطبية؟

١٨) قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِيْ سَحَاْبًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاْمًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاْلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاْءِ مِنْ جِبَاْلٍ فِيْهَاْ مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيْبُ بِهِ مَنْ يَشَاْءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاْءُ يَكَاْدُ سَنَاْ بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَاْرِ).

يقول العلماء: "يبدأ تكوّن السحب الركامية بعدة خلايا قليلة كنتف القطن، تدفعها الرياح لتُدمج بعضها في بعض، مُشكّلة سحابة عملاقة كالجبل، يصل ارتفاعها إلى ٤٥ألف قدم، وتكون قمة السحابة شديدة البرودة بالنسبة إلى قاعدتها، وبسبب هذا الاختلاف في درجات الحرارة تنشأ دوامات تؤدي إلى تشكّل حبات البرد في ذروة السحابة جبلية الشكل، كما تؤدي إلى حدوث تفريغات كهربائية تطلق شرارات باهرة الضوء تصيب الطيارين في صفحة السماء بما يسمى (العمى المؤقت)، وهذا ما وصفته الآية تمامًا، فهل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي بهذه المعلومات الدقيقة من عنده؟

١٩) قال تعالى: (وَلَبِثُواْ فِيْ كَهْفِهِمْ ثَلاْثَ مِائَةٍ سِنِيْنَ وَازْدَاْدُواْ تِسْعًا).

المقصود في الآية أن أصحاب الكهف قد لبثوا في كهفهم ٣٠٠ سنة شمسية و٣٠٩ سنة قمرية، وقد تأكد لعلماء الرياضيات أن السنة الشمسية أطول من السنة القمرية

بــ١١يومًا، فإذا ضربنا الــ١١يومًا بــ٣٠٠ سنة يكون الناتج ٣٣٠٠ وبتقسيم هذا الرقم على عدد أيام السنة (٣٦٥)يصبح الناتج ٩ سنين، فهل كان بإمكان سيدنا محمد (ﷺ) أن يعرف مدة مكوث أهل الكهف بالتقويم القمري والشمسي؟

٢٠) قال تعالى: (وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنْفِذُوْهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّاْلِبُ وَالمطْلُوْبُ).

وقد أثبت العلم الحديث وجود إفرازات عند الذباب، بحيث تحوّل ما تلتقطه إلى مواد مغايرة تمامًا لما التقطته، لذا فنحن لا نستطيع معرفة حقيقة المادة التي التقطتها ولا نستطيع استنفاد هذا المادة منها أبدًا، فمن أخبر محمدًا بهذا أيضًا؟أليس الله عز وجل العالِم بدقائق الأمور هو الذي أخبره؟

٢١) قال تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَاْ الإِنْسَاْنَ مِنْ سُلاْلَةٍ مِنْ طِيْنٍثُمَّ جَعَلْنَاْهُ نُطْفَةً فِيْ قَرَاْرٍ مَكِيْنٍثُمَّ خَلَقنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَاْ الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَاْ الْمُضْغَةَ عِظَاْمًا فَكَسَوْنَاْ الْعِظَاْمَ لَحمًا ثُمَّ

أَنْشَأْنَاْهُ خَلْقًا آخرَ فَتَبَاْرَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَاْلِقِيْنَ) (المؤمنون ١١-١٣)، وقال تعالى: (يَاْ أَيُّهَاْ النَّاْسُ إِنْ كُنْتُمْ فِيْ رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّاْ خَلَقْنَاْكُمْ مِنْ تُرَاْبٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ) (الحج).

من الآيات الكريمة السابقة يتبين أن خلق الإنسان يتم على مراحل على النحو الآتي:

أ- التراب: ودليل ذلك أن كافة العناصر المعدنية والعضوية التي يتركب منها جسم الإنسان موجودة في التراب والطين، والدليل الثاني أنه بعد مماته سيصير ترابًا لا يختلف عن التراب في شيء.

ب- النطفة: وهي التي تخرق جدار البويضة وينجم عن ذلك البيضة الملقحة (النطفة الأمشاج)، التي تحرّض الانقسامات الخلوية التي تجعل النطفة الأمشاج تنمو وتتكاثر حتى تصبح جنينًا متكاملًا، كما في قوله تعالى: (إِنَّاْ خَلَقْنَاْ الإِنْسَاْنَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاْجٍ).

ت- العلقة: بعد الانقسامات الخلوية التي تحدث في البيضة الملقّحة، تتشكل كتلة من الخلايا تشبه في شكلها المجهر بثمرة التوت (العلقة) والتي تتميز بقدرتها العجيبة على التعلق بجدار الرحم لتستمد الغذاء اللازم لها من الأوعية الدموية الموجودة فيه.

ث- المضغة: تتخلق خلايا المضغة لتعطي براعم الأطراف وأعضاء وأجهزة الجسم المختلفة،فهي تتكون إذًا من خلايا مُخلّقة أما الأغشية المحيطة بالمضغة (الغشاء المشيمي وكذلك الزغابات التي ستتحول إلى الخلاص لاحقًا) فإنها خلايا غير مخلقة ، وتحت الدراسة المجهرية تبيّن أن الجنين في مرحلة المضغة يبدو كقطعة لحماً وصمغ ممضوغ عليها علامة أسنان وأضراس ماضغة.

ألا يؤكد هذا قوله تعالى: (مِنْ مُضْغَةٍ مخَلَّقَةٍ وَغيْرِ مُخَلَّقَةٍ) ،فهل كان لمحمد (ﷺ) جهاز(إيكو) عرف من خلاله هذه الحقيقة؟!

ج- ظهور العظام: ثَبُت علميًا أن العظام تبدأ بالظهور في نهاية مرحلة المضغة ، وهذا يوافق الترتيب الذي ذكرها لآية (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا).

ح- كساء العظام باللحم: لقد أثبت علم الأجنة الحديث أن العضلات (اللحم) تتشكل بعد العظام ببضعة أسابيع ويترافق الكساء العضلي بالكساء الجلدي للجنين، وهذا يوافق تمامًا قوله تعالى: (فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا). عندما يشرف الأسبوع السابع من الحمل على الانتهاء تكون مراحل تَخلّق الجنين قد انتهت وصار شكله يشبه الجنين ، ويحتاج بعض الوقت ليكبر ويكتمل نموه وطوله ووزنه ويأخذ شكله المعروف.

والآن: هل كان من الممكن لمحمد (ﷺ) أن يدلي بهذه المعلومات الطبية وقد عاش في عصر يسود فيه الجهل والتخلف؟؟؟

لقد أُلقِيَت هذه الآيات العظيمة في مؤتمر الإعجاز الطبي السابع للقرآن الكريم عام ١٩٨٢، وما أن سمع العالم التايلاندي (تاجاس) المتخصص بعلم الأجنة تلك الآيات، حتى أعلن على الفور ودون تردد ألا إله إلا الله ومحمد رسول الله،كما حضر المؤتمر البروفيسور الشهير (كيثمور) ،وهو أستاذ كبير في الجامعات الأميركية والكندية، وقال: (من المستحيل أن يكون نبيكم قد عرف كل هذه التفصيلات الدقيقة عن أطوار تَخلّق وتصور الجنين من نفسه،ولابد أنه كان على اتصال مع عالم كبير أطلعه على هذه العلوم المختلفة ألا وهو الله سبحانه وتعالي)، وقد أعلن إسلامه في المؤتمر الذي عقد عام ١٩٨٣، وسطّر معجزات القرآن باللغة العربية في كتابه الجامعي الشهير الذي يُدَرّس لطلاب الطب في كليات أمريكا وكندا.

من روائع الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم:

هامان:

هذا الاسم ورد ذكره في القرآن الكريم كوزير فرعون موسى، بينما لم نجد أي إشارة إليه في الإنجيل أو التوراة، هذا ما أثار فضول العالم الفرنسي المسلم وعملاق التشريح (موريس بوكاي)، فقام بالبحث في سر هذا الاسم.

ذهب إلى أحد المختصين في تاريخ مصر القديمة وعرض عليه الاسم وطلب منه ترجمة معنى هذا الاسم باللغة الهيروغليفية.

أتى له الخبير بكتاب "قاموس أسماء الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة"وفتحا الكتاب، وكانت المفاجأة أكبر من أي تصور، كان معنى اسم هامان رئيس عمّال مقالع الحجر".

قال (بوكاي) للخبير: "لو قلت لك إني قد وجدت مخطوطة منذ ١٤٠٠ سنة،كُتب فيها أن هامان كان وزير فرعون ورئيسًا للمعماريين والبنائيين، ماذا تقول في ذلك؟".

انتفض الخبير من مكانه وصرخ قائلًا: "مستحيل، هذا الاسم لم يرد ذكره إلا على الأحجار الأثرية لمصر القديمة وبالخط الهيروغليفي، أحدها موجود في متحف "هوف" في "فِيَنا" عاصمة النمسا، وهذه المعلومة لا يذكرها إلا شخص قام بفك رموز اللغة الهيروغليفية، وعرِف معنى كلمة هامان؟؟وهذا لم يتم إلا عام ١٨٢٢.. أين هذه المخطوطة؟

حينئذ فتح (بوكاي) نسخة مترجمة من القرآن، وقال له:"اقرأ، فهذا هو معجزة محمد،القرآن الكريم".

قال تعالى: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِين".

- انظر إلي معجزة أخري من معجزات الله سبحانه وتعالي ومن ضمن آيات الإعجاز العلمي في القران الكريم ألا هي سورة العنكبوت :

فيوجد فائدتان جميلتان من سورة العنكبوت :

- **الفائدة الأولى:**

لماذا ذُكِرَ ا لعنكبوت في القرآن بصيغة أنثى على الرغم من أنه ذكر ؟؟؟

تقول الآية :-

("مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ.. ") [العنكبوت: ٤١]

هل لاحظتم تاء التأنيث في كلمة اتخذت"؟

"العنكبوت"مذكر أم مؤنث؟ هل تقول "هذه عنكبوت"، أم "هذا عنكبوت"؟

الصحيح هو "هذا عنكبوت"، لأنه مذكر. فَلِمَ جاء بتاء التأنيث مع كلمة العنكبوت وقال: "اتخذت"؟

عاب الطاعنون في دين الله، والمشككين، فقالوا هذا خطأ في القرآن، والعياذ بالله ، فقالوا نحوياً ولغوياً الصحيح أن يقال في

الآية: "كمثل العنكبوت اتخذ بيتاً" لأن كلمة العنكبوت مذكر، لكن شاء الخالق سبحانه أن يترك لنا معجزة، حجة لتزيدنا يقيناً، وتزيد الكافرين ذلة ومهانة. فجاء العلم الحديث ليثبت أن أنثى العنكبوت هي الوحيدة القادرة على بناء البيت والشبكة العنكبوتية أما ذكر العنكبوت فلا حيلة له يخرج فقط خيوط يستعملها للانتقال والتحرك فقط ولا قدرة له على بناء بيت.

فلو كان الله جل وعلا قال :- كمثل العنكبوت اتخذ بيتاً، لكانت الآية خاطئة علمياً وبيولوجياً ؛ لكن سبحان الله جاءت تاء التأنيث لتوقر الإيمان في قلوبنا ولنعلم أنه الحق .

- أما الفائدة الثانية :-

تقوم أُنثى العنكبوت بقتل الذكر بعد أن تنجب الأولاد وتلقيه خارج البيت..

وبعد أن يكبر الأولاد يقومون بقتل الأم وإلقائها خارج المنزل..

بيت عجيب من أسوأ البيوت على الإطلاق لقد وصفها القرآن بآية واحدة..

(وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)

سبحان الله !!!

لقد كان الناس يعلمون مدى الوهن في البيت الحسي للعنكبوت لكنهم لم يدركوا الوهن المعنوي إلا في هذا العصر...!! وبالتالي جاءت الآية : لو كانوا يعلمون !!

ومع ذلك يسمي الله تعالى سورة بإسم هذه الحشرة السيئة الصيت ويتكلم عنها في آية مع أنّ السورة تتحدث من أولها لآخرها عن الفتن ؟

البداية كانت (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) و (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) قد يتبادر للذهن ما علاقة الفتن بالعنكبوت ؟

الجواب : إنّ تداخل الفتن يشبه خيوط العنكبوت..

فالفتن متشابكة ومتداخلة فلا يستطيع المرء أن يميز بينها وهي كثيرة ومعقدة ولكنها هشة وضعيفة إذا استعنا بالله ..

"اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن"

وفرج عن الأمة هذه الغمة ...

وأجرنا في مصابنا خيراً ...

فالقرآن الكريم المعجزة الخالدة قال تعالى :

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

(سورة آل عمران :٨٥)

﴿ الجزء الثاني ﴾

ثانيًا: بعض القصص والعبر في القرآن الكريم :

قصة أصحاب السبت

قال تعالى في سورة "النساء":" أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ".

القصـــة:

أبطال هذه الحادثة، جماعة من اليهود، كانوا يسكنون في قرية ساحلية، اختلف المفسّرون في اسمها، ودار حولها جدل كثير، أما القرآن الكريم فلا يذكر الاسم ويكتفي بعرض القصة لأخذ العبرة منها.

وكان اليهود لا يعملون يوم السبت، وإنما يتفرغون فيه لعبادة الله، فقد فرض الله عليهم عدم الانشغال بأمور الدنيا يوم السبت بعد أن طلبوا منه سبحانه أن يخصص لهم يومًا للراحة والعبادة، لا عمل فيه سوى التقرب لله بأنواع العبادة المختلفة.

وجرت سنّة الله في خلقه، وحان موعد الاختبار والابتلاء، اختبار لمدى صبرهم واتباعهم لشرع الله، وابتلاء يخرجون بعده أقوى عزمًا، وأشد إرادةً، تتربى نفوسهم فيه على ترك الجشع والطمع، والصمود أمام المغريات.

لقد ابتلاهم الله عز وجل، بأن جعل الحيتان تأتي يوم السبت للساحل، وتتراءى لأهل القرية، بحيث يسهل صيدها، ثم تبتعد بقية أيام الأسبوع. فانهارت عزائم فرقة من القوم، واحتالوا الحيل – على شيمة اليهود– وبدؤوا بالصيد يوم السبت، لم يصطادوا السمك مباشرة، وإنما أقاموا الحواجز والحُفر، فإذا قَدِمت الحيتان أحاطوها يوم السبت، ثم اصطادوها يوم الأحد، كان هذا الاحتيال بمثابة صيد، وهو محرّم عليهم.

فانقسم أهل القرية لثلاث فرق، فرقة عاصية تصطاد بالحيلة، وفرقة لا تعصي الله وتقف موقفًا إيجابيًا مما يحدث، فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتحذّر المخالفين من غضب الله، وفرقة ثالثة، سلبية، لا تعصي الله لكنها لا تنهى عن المنكر.

وكانت الفرقة الثالثة، تتجادل مع الفرقة الناهية عن المنكر وتقول لها: "ما فائدة نصحكم لهؤلاء العصاة؟ إنهم لن يتوقفوا عن احتيالهم، وسيصيبهم من الله عذاب أليم بسبب أفعالهم، فلا جدة من تحذيرهم بعدما كتب الله عليهم الهلاك لانتهاكهم حرماته.

وبصرامة المؤمن الذي يعرف واجباته، كان الناهون عن المكر يجيبون: "إننا نقوم بواجبنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لنرضي الله سبحانه، ولا تكون علينا حجة يوم القيامة، وربما تفيد هذه الكلمات، فيعودون إلى رشدهم، ويتركون عصيانهم".

بعدما استكبر العصاة المحتالون، ولم تجد كلمات المؤمنين نفعًا معهم، جاء أمر الله، وحل بالعصاة العذاب، لقد عذّب الله العصاة وأنجى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أما الفرقة الثالثة، التي لم تعصِ الله لكنها لم تنهَ عن المنكر، فقد سكت النصّ القرآني عنها.

يقول سيّد قطب رحمه الله: "ربما هَوينا لشأنها –وإن كانت لم تؤخذ بالعذاب– إذ إنها قعدت عن الإنكار الإيجابي، ووقفت عند حدود الإنكار السلبي. فاستحقت الإهمال وإن لم تستحق العذاب". (في ظلال القرآن)

لقد كان العذاب شديدًا، لقد مسخهم الله، وحوّلهم لقردة عقابًا لهم على إمعانهم في المعصية.

وتحكي بعض الروايات أن الناهين أصبحوا ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد، فتعجبوا وذهبوا لينظروا ما الأمر؟ فوجدوا المعتدين وقد أصبحوا قردة، فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولم تعرف الإنس أنسابهم من القردة؛ فجعلت القردة تأتي نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي؛ فيقول: "ألم نَنهَكُم"! فتقول برأسها نعم.

قصة قارون وكنوزة

قصة قارون وكنوزة

ورد ذكر قارون في سورة العنكبوت، وغافر، وورد ذكر القصة بتفصيل أكثر في سورة القصص (الآيات ٧٦-٨٢).

قال تعالى:"إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩)وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ(٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا

لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

- القصـــة:

يروي لنا القرآن قصة قارون، وهو من قوم موسى، لكن القرآن لا يحدد زمن القصة ولا مكانها، فهل وقعت هذه القصة وبنو إسرائيل وموسى في مصر قبل الخروج أم وقعت بعد الخروج في حياة موسى أم وقعت في بني إسرائيل من بعد موسى؟ وبعيدًا عن الروايات المختلفة، نورد القصة كما ذكرها القرآن الكريم.

حيث نجد إن مفاتيح الحجرات التي تضم الكنوز، كان يصعب حملها على مجموعة من الرجال الأشداء. ولو عرفنا عن مفاتيح الكنوز في هذه الحال، فكيف كانت الكنوز ذاتها؟! لكن قارون بغى على قومه بعد أن أتاه الله الثراء، ولم يذكر القرآن فيمَ كان البغي، ليدعه مجهلًا يشمل شتى الصور، فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم، وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال، حق الفقراء في أموال الأغنياء، وربما بغى عليهم بغير هذه الأسباب.

ويبدو أن العقلاء من قومه نصحوه بالقصد والاعتدال، وهو المنهج السليم. فهم يحذرونه من الفرح الذي يؤدي بصاحبه إلى نسيان من هو المنعم بهذا المال، وينصحونه بالتمتع بالمال في الدنيا، من غير أن ينسى الآخرة، فعليه أن يعمل لآخرته بهذا المال، ويذكرونه بأن هذا المال هبة من الله وإحسان، فعليه أن يحسن ويتصدق من هذا المال، حتى يرد الإحسان بالإحسان. ويحذرونه من الفساد في الأرض، بالبغي والظلم والحسد والبغضاء، وإنفاق المال في غير وجهه، أو إمساكه عما يجب أن يكون فيه، فالله لا يحب المفسدين.

فكان رد قارون جملة واحدة تحمل شتى معاني الفساد: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي). لقد أنساه غروره مصدر هذه النعمة وحكمتها، وفتنه المال وأعماه الثراء، فلم يستمع قارون لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه.

وخرج قارون ذات يوم على قومه، بكامل زينته، فطارت قلوب بعض القوم، وتمنوا أن لديهم مثل ما أوتي قارون، وأحسوا أنه في نعمة كبيرة، فرد عليهم من سَمِعَهم من أهل العلم والإيمان:

"ويلكم أيها المخدوعون، احذروا الفتنة، واتقوا الله، واعلموا أن ثواب الله خير من هذه الزينة، وما عند الله خير مما عند قارون".

وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها، وتتهافت أمامها النفوس وتتهاوى، تتدخل القدرة الإلهية لتضع حدًّا للفتنة، وترحم الناس الضعاف من إغرائها، وتحطم الغرور والكبرياء، فيجيء العقاب حاسمًا (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ)، هكذا في لمحة خاطفة ابتلعته الأرض وابتلعت داره، وذهب ضعيفًا عاجزًا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاهٍ أو مال.

وبدأ الناس يتحدثون إلى بعضهم البعض في دهشة وعجَب واعتبار، فقال الذين كانوا يتمنون أن عندهم مال قارون وسلطانه وزينته وحظه في الدنيا: "حقًا إن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويوسع عليهم، أو يقبض ذلك، فالحمد لله أن منَّ علينا فحفظنا من الخسف والعذاب الأليم، إنا تبنا إليك سبحانك، فلك الحمد في الأولى والآخرة".

قصة أصحاب الكهف

قصة أصحاب الكهف

إن سبب نزول قصة أصحاب الكهف، وخبر ذي القرنين ما ذكره محمد بن إسحاق و غيره في السيرة أن قريشًا بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسألونه عنها؛ ليختبروا ما يجيب به فيها، فقالوا: "سلوه عن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يدري ما صنعوا، وعن رجلٍ طوّاف في الأرض وعن الروح"، فأنزل الله تعالى(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ)، ويقول سبحانه وتعالي:(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)، أي؛ ليسوا بعجب عظيم بالنسبة لما أطلعناك عليه من الأخبار العظيمة، والآيات الباهرة والعجائب الغريبة، والكهف هو الغار في الجبل.

- القصـــة:

في زمان ومكان غير معروفين لنا الآن، كانت توجد قرية مشركة، ضلَّ ملكها وأهلها عن الطريق المستقيم، وعبدوا مع الله مالا يضرهم ولا ينفعهم، عبدوهم من غير أي دليل على ألوهيتهم، ومع ذلك كانوا يدافعون عن هذه الآلهة المزعومة، ولا يرضون أن يمسها أحد بسوء، ويؤذون كل من يكفر بها، ولا يعبدها.

في هذا المجتمع الفاسد، ظهرت مجموعة من الشباب العقلاء، ثلة قليلة حكّمت عقلها، ورفضت السجود لغير خالقها، الله الذي بيده كل شيء. فتية آمنوا بالله، فثبتهم وزاد في هداهم، وألهمهم طريق الرشاد.

لم يكن هؤلاء الفتية أنبياء ولا رسلًا، ولم يتوجب عليهم تحمل ما يتحمله الرسل في دعوة أقواهم،إنما كانوا أصحاب إيمان راسخ، فأنكروا على قومهم شركهم بالله، وطلبوا منهم إقامة الحجة على وجود آلهة غير الله، ثم قرروا النجاة بدينهم وبأنفسهم بالهجرة من القرية لمكان آمن يعبدون الله فيه، فالقرية فاسدة وأهلها ضالون.

عزم الفتية على الخروج من القرية، والتوجه لكهف مهجور ليكون ملاذًا لهم، خرجوا ومعهم كلبهم من المدينة الواسعة، للكهف الضيق، تركوا وراءهم منازلهم المريحة، ليسكنوا كهفًا موحشًا، زهدوا في الأَسرّة الوثيرة، والحُجر الفسيحة، واختاروا كهفًا ضيقًا مظلمًا.

إن هذا ليس بغريب على من ملأ الإيمان قلبه، فالمؤمن يرى الصحراء روضة إن أحس أن الله معه، ويرى الكهف قصرًا، إن اختار الله له الكهف. وهؤلاء ما خرجوا من قريتهم لطلب دنيا أو مال، وإنما خرجوا طمعًا في رضا الله، وأي مكان يمكنهم فيه عبادة

الله ونيل رضاه سيكون خيرًا من قريتهم التي خرجوا منها.
استلقى الفتية في الكهف، وجلس كلبهم على باب الكهف يحرسه، وهنا حدثت معجزة إلهية، لقد نام الفتية ثلاثمائة وتسع سنوات، وخلال هذه المدة، كانت الشمس تشرق عن يمين كهفهم وتغرب عن شماله، فلا تصيبهم أشعتها في أول ولا آخر النهار، وكانوا يتقلبون أثناء نومهم، حتى لا تهترئ أجسادهم، فكان الناظر إليهم يحس بالرعب، لأنهم نائمون ولكنهم كالمستيقظين من كثرة تقلّبهم.

بعد هذه المئات الثلاث، بعثهم الله مرة أخرى، استيقظوا من سباتهم الطويل، لكنهم لم يدركوا كم مضى عليهم من الوقت في نومهم، وكانت آثار النوم الطويل بادية عليهم، فتساءلوا: كم لبثنا؟! فأجاب بعضهم: "لبثنا يومًا أو بعض يوم"،لكنهم تجاوزوا بسرعة مرحلة الدهشة، فمدة النوم غير مهمة. المهم أنهم استيقظوا وعليهم أن يتدبروا أمورهم.

فأخرجوا النقود التي كانت معهم، ثم طلبوا من أحدهم أن يذهب خلسة للمدينة، وأن يشتري طعامًا طيبًا بهذه النقود، ثم يعود إليهم برفق حتى لا يشعر به أحد، فربما يعاقبهم جنود الملك أو الظلمة

من أهل القرية إن علموا بأمرهم، قد يخيرونهم بين العودة للشرك، أو الرجم حتى الموت.

خرج الرجل المؤمن متوجهًا للقرية، إلا أنها لم تكن كعهده بها. لقد تغيرت الأماكن والوجوه، تغيّرت البضائع والنقود،استغرب كيف يحدث كل هذا في يوم وليلة، وبالطبع، لم يكن عسيرًا على أهل القرية أن يميزوا دهشة هذا الرجل، ولم يكن صعبًا عليهم معرفة أنه غريب، من ثيابه التي يلبسها ونقوده التي يحملها.

لقد آمنت المدينة التي خرج منها الفتية، وهلك الملك الظالم، وجاء مكانه رجل صالح، لقد فرح الناس بهؤلاء الفتية المؤمنين، لقد كانوا أول من يؤمن من هذه القرية، لقد هاجروا من قريتهم لكيلا يفتنوا في دينهم. وها هم قد عادوا، فمن حق أهل القرية الفرح، وذهبوا لرؤيتهم.

وبعد أن ثبُتَت المعجزة، معجزة إحياء الأموات، وبعدما استيقنت قلوب أهل القرية قدرة الله سبحانه وتعالى على بعث من يموت، برؤية مثال واقعي ملموس أمامهم، أخذ الله أرواح الفتية، فلكل نفس أجل، ولا بد لها أن تموت، فاختلف أهل القرية، فمنهم من دعا لإقامة بنيان على كهفهم، ومنهم من طالب ببناء مسجد، وغلبت الفئة الثانية.

لا نزال نجهل كثيرًا من الأمور المتعلقة بهم، فهل كانوا قبل زمن عيسى عليه السلام، أم كانوا بعده؟ هل آمنوا بربهم من تلقاء أنفسهم، أم أن أحد الحواريين دعاهم للإيمان؟ هل كانوا في بلدة من بلاد الروم، أم في فلسطين؟ هل كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، أم خمسة سادسهم كلبهم، أم سبعة وثامنهم كلبهم؟ كل هذه أمور مجهولة، إلا أن الله عز وجل ينهانا عن الجدال في هذه الأمور، ويأمرنا بإرجاع علمهم إلى الله، فالعبرة ليست في العدد، وإنما فيما آل إليه الأمر،فلا يهم إن كانوا أربعة أو ثمانية، إنما المهم أن الله أقامهم بعد أكثر من ثلاثمائة سنة، ليرى مَن عاصرهم القدرة على بعث مَن في القبور، ولتتناقل الأجيال خبر هذه المعجزة جيلًا بعد جيل.

أصحاب
الجنة

قصة أصحاب الجنة

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم في سورة القلم شيئًا من قصة أصحاب الجنة، أي البستان الذين لم يؤدوا حق الله تعالى فيه، فحرمهم منه عقابًا على نيتهم الخبيثة، فما تفاصيل هذه القصة؟ كانت اليمن مشهورة بكثرة بساتينها وأراضيها الخصبة، وبالقرب من أهم مُدنها صنعاء في ناحية اسمها ضوران، عاش رجل صالح مع أولاده عيشة طيبة، حيث كان له أرض عظيمة الاتساع، منوعة الزروع، كثيرة الأشجار، وافرة الأثمار، فهنا نخيل، وهناك أعناب، وهنالك بقول، فغدت متعة للناظرين، ونزهة للقاصدين، يأتونها للراحة والتمتع بمنظرها الجميل.

وكان الرجل الصالح مسلمًا من أتباع سيدنا عيسى المسيح عليه السلام، يشكر الله تعالى على ما أنعم عليه وأعطاه، وكان كلما حان وقت حصاد الزروع يدعو البستاني وأعوانه، فيقطعون بالمناجل ما يقطعونه، ويقطفون الثمار، ثم يبعث بطلب جماعات الفقراء على ما عوّدهم عليه كل عام، فلا يمنعهم من الدخول بل يعطيهم نصيبًا وافرًا، هذا يملأ أوعيته التي أتى بها، وذلك يحمل في ثيابه، ثم بعد ذلك ما أخطأه المنجل فلم يقطعه فكان لهم، وكذلك

ما سقط من القمح بعد أن يجمع فوق البساط، وما تركه الحاصد، وما تناثر بين أشجار النخيل بعد فرط ثمارها، رزقًا حلالًا طيبًا، وجرى على هذا كل عام.

لم يتحمل بعض أبناء الرجل الصالح رؤية جزء من مال أبيهم موزعًا بين الفقراء، وبستانه مفتوحًا للمساكين والمحتاجين، وأنهم سواء، فقال واحد منهم لوالده: "إنك بعطائك للفقراء، تمنعنا حقنا، وتضيق علينا في رزقنا"، وقال الابن الآخر: "قد نعود بعدك فقراء نمد الأيادي للناس، نشحذ منهم"، وهَمّ الثالث بالكلام، فأسكته الوالد وأدار عينيه على الجميع، وقال: "ما أراكم إلا خاطئين في الوهم والتقدير، هذا المال مال الله مكنني فيه، وأمرني أن أخرج منه حقوقًا زكاة للفقراء والمساكين، والمال بهذا الأمر يزيد ويُبارك فيه، وعلى هذا تعودت منذ كنت شابًا، وقد التزمت به رجلًا كهلًا، فكيف بي أن أتركه اليوم وأنا شيخ وموتي قريب؟"، ولم يمكث الرجل الصالح طويلًا، إذ أصيب بمرض وتوفي تاركًا أولاده وبستانه الواسع.

ومضت الأيام سريعة، وحان وقت الحصاد، وترقب الفقراء والمساكين حلوله ليأتوا ويأخذوا نصيبهم كما عودهم الرجل الصالح كل عام.

واجتمع الأبناء البخلاء يعدون للحصاد، فقال أحدهم: "لن نعطي بعد اليوم من البستان شيئا لفقير أو محتاج، ولن يعود مأوى لقاصد أو ابن سبيل فإننا إذا فعلنا هذا، زاد مالنا وعلا شأننا".

وقال أوسطهم وكان كأبيه طيبًا يحب عمل الخير: "إنكم تُقدِمون على أمر تظنونه أوفر لكم، ولكنه يحوي الشر، وسيقضي على بستانكم من جذوره، إنكم لو حَرمتم الفقراء ولم تعطوا المساكين والمستحقين زكاة الزرع أخاف عليكم عقاب الله تعالى".

ولكنهم لم ينصاعوا واتفقوا فيما بينهم سرًّا أن يقوموا أول الصبح قبل أن يستيقظ الناس فيأتوا إلى بستانهم ويقطفوا ثماره ويحصدوا زرعه ويقتسموه فيما بينهم، فلا يبقى شيء للفقراء. وكان الله تعالى عالماً بما يكيدونه وما اتفقوا عليه، فأرسل سيدنا جبريل عليه السلام ليلًا ببلاء شديد، فاقتُلعت نباتاتهم واحترقت شجراتهم، وجفت أوراقهم وأنهارهم، وأصبح بستانهم أسود كالليل.

وطلع عليهم النهار وهم على مشارف بستانهم، يتساءلون: "أهذا بستاننا، وقد تركناه بالأمس مورقًا بأشجاره، وافرًا بثماره؟ ما نظن هذا بستاننا وإننا ضالون عنه".

قال أوسطهم: "بل هي جنتكم، حُرمتم منها قبل أن يُحرم الفقير منها، وجُوزيتم على بخلكم وشحكم"، فأقبل بعضهم يلوم البعض الآخر، فالأول يقول: "أنت أشرت علينا بمنع المساكين"، ويقول الآخر: "بل أنت زينت لنا حرمانهم"، فيجيبه أحدهم: "أنت خوفتنا الفقر"، ويقول آخرهم: "بل أنت الذي رغبتنا بجمع المال"، ثم قالوا: "يا ربنا إنا كنا طاغين"، أي عصينا ربنا بمنع الزكاة.

وأدركهم الله تعالى برحمته عندما أظهروا استعدادهم للتوبة وقالوا: "إن أبدلنا الله خيرًا منها سنصنع كما صنع والدنا"، فدعوا الله وتضرعوا وتابوا إليه فأبدلهم من ليلتهم ما هو خير منها، وأمر جبريل عليه السلام أن يقتلع بستانهم المحروق ويجعله في مكان بعيد وأن يأخذ من أرض الشام بستانًا عامرًا ويجعله مكان الأول، فكانت البركة فيه ظاهرة، إذ كان عنقود العنب فيه ضخمًا جدًّا، وعادوا إلى ما كان عليه والدهم لا يمنعون فقيرًا ولا مسكينًا، يطهرون أموالهم وأنفسهم بما يرضي الله عز وجل.

قصـــة أصحـــاب الفيـــل

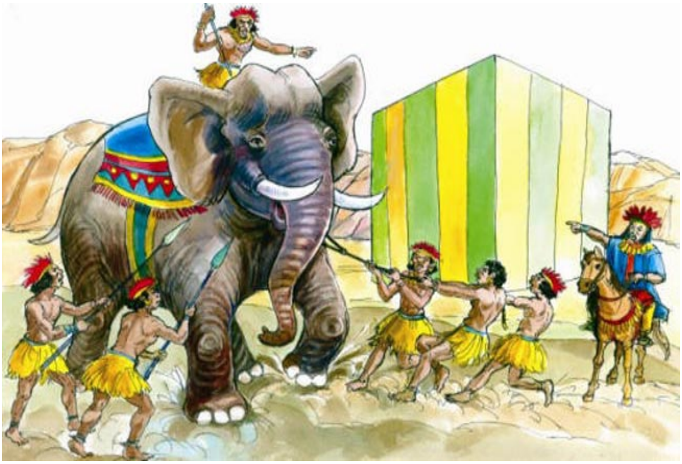

قصة أصحاب الفيل

ورد ذكر القصة في سورة الفيل (الآيات ١-٥).

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)).

- القصـــة:

كانت اليمن تابعة للنجاشي ملك الحبشة، وقام والي اليمن (أبرهة) ببناء كنيسة عظيمة، وأراد أن يغيّر وجهة حجّ العرب، فيجعلهم يحجّون إلى هذه الكنيسة بدلًا من بيت الله الحرام، فكتب إلى النجاشي: "إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبنَ مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب، إلا أن العرب أبَوا ذلك، وأخذهم عزهم بمعتقداهم وأنساهم، فهم أبناء إبراهيم وإسماعيل، فكيف يتركون البيت الذي بناه آباؤهم ويحجّون لكنيسة بناها نصراني! وقيل:"إن رجلًا من العرب ذهب وأحدث في الكنيسة تحقيرًا لها، وأن بني كنانة قتلوا رسول أبرهة الذي جاء يطلب منهم الحج للكنيسة".

فعزم أبرهة على هدم الكعبة، وجهّز جيشًا جرّارًا، ووضع في مقدمته فيلًا مشهورًا عندهم، يقال إن اسمه محمود، فعزمت العرب على قتال أبرهة. وكان أول من خرج للقائه، رجل من أشراف من اليمن يقال له ذو نفر. دعا قومه فأجابوه، والتحموا بجيش أبرهة، لكنه هُزِم وسيق أسيرًا إلى أبرهة.

ثم خرج نفيل بن حبيب الخثعمي، وحارب أبرهة، فهزمهم أبرهة وأُخِذَ نفيل أسيرًا، وصار دليلًا لجيش أبرهة، حتى وصلوا للطائف، فخرج رجال من ثقيف، وقالوا لأبرهة:"إن الكعبة موجودة في مكة"،حتى لا يهدم بيت اللات الذي بنوه في الطائف، وأرسلوا مع الجيش رجلًا منهم ليدلّهم على الكعبة! وكان اسم الرجل أبو رغال. توفي في الطريق ودفن فيها، وصار قبره مرجمًا عند العرب، فقال الشاعر:

وأرجم قبره في كل عام كرجم الناس قبر أبي رغال

وفي مكان يسمى المغمس بين الطائف ومكة، أرسل أبرهة كتيبة من جنده، ساقت له أموال قريش وغيرها من القبائل، وكان من بين هذه الأموال مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم، كبير قريش

وسيّدها، فهمّت قريش وكنانة وهذيل وغيرهم على قتال أبرهة، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة رسولًا إلى مكة يسأل عن سيد هذا البلد، ويبلغه أن الملك لم يأتِ لحربهم وإنما جاء لهدم هذا البيت، فإن لم يتعرضوا له فلا حاجة له في دمائهم! فإذا كان سيد البلد لا يريد الحرب جاء به إلى الملك، فلما أخبر الرسول عبد المطلب برسالة الملك، أجابه:

"والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة. هذا بيت الله الحرام،وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يدخل بيته فوالله ما عندنا دفع عنه".

ثم انطلق عبد المطلب مع الرسول لمحادثة أبرهة، وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه، وأكرمه عن أن يجلسه تحته،وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جانبه، ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك؟ فقال :حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي، فلما قال ذلك، قال أبرهة

لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني!أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًّا سيمنعه، فاستكبر أبرهة وقال: ما كان ليمتنع مني. قال: أنت وذاك! فردّ أبرهة على عبد المطلب إبله.

ثم عاد عبد المطلب إلى قريش وأخبرهم بما حدث، وأمرهم بالخروج من مكة والبقاء في الجبال المحيطة بها. ثم توجه وهو ورجال من قريش إلى الكعبة وأمسك حلقة بابها، وقاموا يدعون الله ويستنصرونه، ثم ذهب هو ومن معه للجبل.

ثم أمر أبرهة جيشه والفيل في مقدمته بدخول مكة، إلا أن الفيل برك ولم يتحرك، فضربوه ووخزوه، لكنه لم يقم من مكانه،فوجّهوه ناحية اليمن، فقام يهرول، ثم وجّهوه ناحية الشام، فتوجّه. ثم وجّهوه جهة الشرق، فتحرّك، فوجّهوه إلى مكة فَبَرَك.

ثم كان ما أراده الله من إهلاك الجيش وقائده، فأرسل عليهم جماعات من الطير، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدًا إلا هلك، فتركتهم كأوراق الشجر الجافة الممزقة، فهاج الجيش وماج، وبدؤوا يسألون عن نفيل بن حبيب؛ ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أين المفــر والإلــه الطالــب والأشــرم المغلــوب ليس الغالب

وقال أيضًا:

حمدت الله إذ أبصرت طيرًا وخفت حجارة تلقى علينا

فكل القوم يسأل عن نفيــل كأن علي للحبشان دينــًا

وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يتساقط لحمه قطعًا صغيرة واحدة تلو الأخرى، حتى وصلوا إلى صنعاء، فما مات حتى انشق صدره عن قلبه كما تقول الروايات.

إن لهذه القصة دلالات كثيرة يصفها الأستاذ سيّد قطب رحمه الله في كتابه (في ظلال القرآن)، فأما دلالة هذا الحادث والعبر المستفادة من التذكير به فكثيرة.

وأول ما توحي به أن الله – سبحانه – لم يرد أن يوكِل حماية بيته إلى المشركين، ولو أنهم كانوا يعتزون بهذا البيت، ويحمونه ويحتمون به، فلما أراد أن يصونه ويحرسه ويعلن حمايته له وغيرته عليه، ترك المشركين يُهزمون أمام القوة المعتدية، وتدخلت القدرة سافرة لتدفع عن بيت الله الحرام، حتى لا تكون للمشركين يدٌ على بيته ولا سابقة في حمايته، بحميتهم الجاهلية.

كذلك توحي دلالة هذا الحادث بأن الله لم يقدر لأهل الكتاب – أبرهة وجنوده – أن يحطموا البيت الحرام أو يسيطروا على الأرض المقدسة، حتى والشرك يدنسه، والمشركون هم سدنته، ليبقى هذا البيت عتيقًا من سلطان المتسلطين، مصونًا من كيد الكائدين.

ونحن نستبشر بإيحاء هذه الدلالة اليوم ونطمئن،إزاء ما نعلمه من أطماع فاجرة ماكرة ترف حول الأماكن المقدسة من الصليبية العالمية والصهيونية العالمية، ولا تهدأ في التمهيد الخفي اللئيم لهذه الأطماع الفاجرة الماكرة. فالله الذي حمى بيته من أهل الكتاب وسدنته مشركون، سيحفظه إن شاء الله، ويحفظ مدينة رسوله من كيد الكائدين ومكر الماكرين !

والإيحاء الثالث هو أن العربلم يكن لهم دور في الأرض،بل لم يكن لهم كيان قبل الإسلام، كانوا في اليمن تحت حكم الفرس أو الحبشة، وكانت دولتهم حين تقوم هناك أحيانًا تقوم تحت حماية الفرس، وفي الشمال كانت الشام تحت حكم الروم إما مباشرة أو بقيام حكومة عربية تحت حماية الرومان، ولم ينجُ إلا قلب الجزيرة من تحكم الأجانب فيه، ولكنه ظل في حالة تفكك لا تجعل منه قوة حقيقية في ميدان القوى العالمية، وكان يمكن أن تقوم الحروب بين القبائل أربعين سنة، ولكن لم تكن هذه القبائل متفرقة ولا مجتمعة ذات وزن عند الدول القوية المجاورة، وما حدث في عام الفيل كان مقياسًا لحقيقة هذه القوة حين تتعرض لغزو أجنبي.

وتحت راية الإسلام ولأول مرة في تاريخ العرب أصبح لهم دور عالمي يؤدونه، وأصبحت لهم قوة دولية يحسب لها حساب، قوة جارفة تكتسح الممالك وتحطم العروش، وتتولى قيادة البشرية، بعد أن تزيح القيادات الضالة، ولكن الذي هيأ للعرب هذا لأول مرة في تاريخهم هو أنهم نسوا أنهم عرب! نسوا نعرة الجنس، وعصبية العنصر، وتذكروا أنهم مسلمون. مسلمون فقط، ورفعوا راية الإسلام، وراية الإسلام وحدها، وحملوا عقيدة ضخمة قوية يهدونها إلى البشرية رحمةً بالبشرية؛ ولم يحملوا قومية ولا عنصرية ولا عصبية، حملوا فكرة سماوية يعلمون الناس بها. لا مذهب أرضي يخضعون الناس لسلطانه، وخرجوا من أرضهم جهادًا في سبيل الله وحده، ولم يخرجوا ليؤسسوا إمبراطورية عربية ينعمون ويرتعون في ظلها، ويشمخون ويتكبرون تحت حمايتها، ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس إلى حكم العرب وحكمهم أنفسهم! إنما قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعًا إلى عبادة الله وحده، عندئذ فقط كان للعرب وجود، وكانت لهم قوة، وكانت لهم قيادة، ولكنها كانت كلها لله وفي سبيل الله، وقد ظلت لهم قوتهم، وظلت لهم قيادتهم ما استقاموا على الطريقة، حتى إذا انحرفوا عنها وذكروا عنصريتهم وعصبيتهم، وتركوا راية الله ليرفعوا راية

العصبية، نبذهم الأرض وداستهم الأمم، لأن الله قد تركهم حيثما تركوه، ونسيهم مثلما نسوه!

وما العرب بغير الإسلام؟ ما الفكرة التي قدموها للبشرية أو يملكون تقديمها إذا هم تخلوا عن هذه الفكرة؟ وما قيمة أمة لا تقدم للبشرية فكرة؟ إن كل أمة قادت البشرية في فترة من فترات التاريخ كانت تمثل فكرة، والأمم التي لم تكن تمثل فكرة كالتتار الذين اجتاحوا الشرق، والبرابرة الذين اجتاحوا الدولة الرومانية في الغرب لم يستطيعوا الحياة طويلًا، إنما ذابوا في الأمم التي فتحوها، والفكرة الوحيدة التي تقدم بها العرب للبشرية كانت هي العقيدة الإسلامية، وهي التي رفعتهم إلى مكان القيادة، فإذا تخلوا عنها لم تعد لهم في الأرض وظيفة، ولم يعد لهم في التاريخ دور، وهذا ما يجب أن يذكره العرب جيدًا إذا هم أرادوا الحياة، وأرادوا القوة، وأرادوا القيادة. والله الهادي من الضلال.

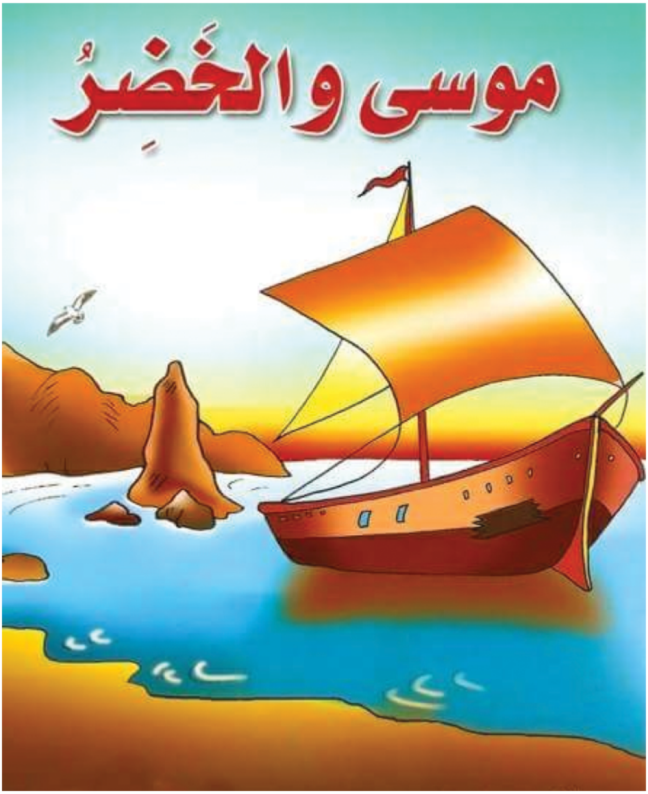
موسى والخَضِرُ

قصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر

ورد ذكر القصة في سورة الكهف (الآيات ٦٠-٨٢).

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ

شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦)فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩)وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)).

- القصـــة:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠)﴾. (الكهف)

كان لموسى -عليه السلام- هدف من رحلته هذه التي اعتزمها، وأنه كان يقصد من ورائها أمرًا، فهو يعلن عن تصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة، ومهما يكن الزمن الذي يحتاجه في الوصول، فيعبر عن هذا التصميم، قائلًا:﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾.

نرى أن القرآن الكريم لا يحدد لنا المكان الذي وقعت فيه الحوادث، ولا يحدد لنا التاريخ، كما أنه لم يصرح بالأسماء. ولم يبين ماهية العبد الصالح الذي التقاه موسى، هل هو نبي أم رسول أم عالم أم ولي؟

اختلف المفسرون في تحديد المكان، فقيل إنه بحر فارس والروم، وقيل بل بحر الأردن أو القلزم، وقيل عند طنجة، وقيل في أفريقيا، وقيل هو بحر الأندلس، ولا يقوم الدليل على صحة مكان من هذه

الأمكنة، ولو كان تحديد المكان مطلوبًا لحدده الله تعالى، وإنما أبهم السياق القرآني المكان، كما أبهم تحديد الزمان، كما ضبب أسماء الأشخاص لحكمة عليا.

إن القصة تتعلق بعلم ليس هو علمنا القائم على الأسباب، وليس هو علم الأنبياء القائم على الوحي، إنما نحن أمام علم من طبيعة غامضة أشد الغموض، علم القدر الأعلى، وذلك علم أسدلت عليه الأستار الكثيفة. مكان اللقاء مجهول كما رأينا، وزمان اللقاء غير معروف هو الآخر، لا نعرف متى تم لقاء موسى بهذا العبد؟

وهكذا تمضي القصة دون أن تحدد لك سطورها مكان وقوع الأحداث ولا زمانها، يخفي السياق القرآني أيضا اسم أهم أبطالها، يشير إليه الحق تبارك وتعالى بقوله: (عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا)، هو عبد أخفى السياق القرآني اسمه، هذا العبد هو الذي يبحث عنه موسى ليتعلم منه.

لقد خص الله تعالى نبيه الكريم موسى -عليه السلام- بأمور كثيرة، فهو كليم الله عز وجل، وأحد أولي العزم من الرسل، وصاحب معجزة العصا واليد، والنبي الذي أُنزلت عليه التوراة دون واسطة، وإنما كلمه الله تكليما. هذا النبي العظيم يتحول في القصة إلى طالب علم متواضع يحتمل أستاذه ليتعلم، ومن يكون معلمه غير هذا العبد الذي يتجاوز السياق القرآني اسمه، وإن حدثتنا السنة المطهرة أنه هو الخضر -عليه السلام- كما حدثتنا أن الفتى هو يوشع بن نون، ويسير موسى مع العبد الذي يتلقى علمه من الله بغير أسباب التلقي التي نعرفها.

ومع منزلة موسى العظيمة إلا أن الخضر يرفض صحبة موسى، يفهمه أنه لن يستطيع معه صبرًا، ثم يوافق على صحبته بشرط ألا يسأله موسى عن شيء حتى يحدثه الخضر عنه.

والخضر هو الصمت المبهم ذاته، إنه لا يتحدث، وتصرفاته تثير دهشة موسى العميقة، إن هناك تصرفات يأتيها الخضر وترتفع أمام عيني موسى حتى، لتصل إلى مرتبة الجرائم والكوارث، وهناك

تصرفات تبدو لموسى بلا معنى، وتثير تصرفات الخضر دهشة موسى ومعارضته، ورغم علم موسى ومرتبته، فإنه يجد نفسه في حيرة عميقة من تصرفات هذا العبد الذي آتاه الله من لدنه علمًا.

وقد اختلف العلماء في الخضر، منهممَن يعتبره وليًّا من أولياء الله، ومنهم من يعتبره نبيًّا، وقد نسجت الأساطير نفسها حول حياته ووجوده، فقيل إنه لا يزال حيًّا إلى يوم القيامة، وهي قضية لم ترد بها نصوص أو آثار يوثق فيها، فلا نقول فيها إلا أنه مات كما يموت عباد الله، وتبقى قضية ولايته أو نبوته. وسنرجئ الحديث في هذه القضية حتى ننظر في قصته كما أوردها القرآن الكريم.

قام موسى خطيبًا في بني إسرائيل، يدعوهم إلى الله ويحدثهم عن الحق، ويبدو أن حديثه جاء جامعًا مانعًا رائعًا، بعد أن انتهى من خطابه سأله أحد المستمعين من بني إسرائيل: هل على وجه الأرض أحد اعلم منك يا نبي الله؟

قال موسى مندفعا: لا.

وساق الله تعالى عتابه لموسى حين لم يَرُد العلم إليه، فبعث إليه جبريل يسأله: يا موسى ما يدريك أين يضع الله علمه؟ أدرك موسى أنه تسرع، وعاد جبريل عليه السلام، يقول له: "إن لله عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك".

تاقت نفس موسى الكريمة إلى زيادة العلم، وانعقدت نيته على الرحيل لمصاحبة هذا العبد العالم، سأل كيف السبيل إليه، فأمر أن يرحل وأن يحمل معه حوتًا في "مكتل"، أي سمكة في سلة، وفي هذا المكان الذي ترتد فيه الحياة لهذا الحوت ويتسرب في البحر، سيجد العبد العالِم، انطلق موسى –طالب العلم– ومعه فتاه، وقد حمل الفتى حوتًا في سلة، انطلقا بحثًا عن العبد الصالح العالِم،وليست لديهم أي علامة على المكان الذي توجد فيه معجزة ارتداد الحياة للسمكة القابعة في السلة وتسربها إلى البحر.

ويظهر عزم موسى –عليه السلام– على العثور على هذا العبد العالِم ولو اضطره الأمر إلى أن يسير أحقابًا وأحقابًا، قيل إن الحقب عام، وقيل ثمانون عامًا، على أية حال فهو تعبير عن التصميم، لا عن المدة على وجه التحديد.

وصل الاثنان إلى صخرة بجوار البحر،ورقد موسى واستسلم للنعاس، وبقي الفتى ساهرًا، وألقت الرياح أحد الأمواج على الشاطئ، فأصاب الحوت رذاذ، فدبّت فيه الحياة وقفز إلى البحر، (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا)، وكان تسرب الحوت إلى البحر علامة أعلم الله بها موسى لتحديد مكان لقائه بالرجل الحكيم الذي جاء موسى يتعلم منه.

نهض موسى من نومه فلم يلاحظ أن الحوت تسرب إلى البحر، ونسي فتاه الذي يصحبه أن يحدّثه عما وقع للحوت، وسار موسى مع فتاه بقية يومهما وليلتهما وقد نسيا حوتهما، ثم تذكر موسى غداءه وحل عليه التعب، (قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا)، ولمع في ذهن الفتى ما وقع.

ساعتئذٍ تذكر الفتى كيف تسرب الحوت إلى البحر هناك، وأخبر موسى بما وقع، واعتذر إليه بأن الشيطان أنساه أن يذكر له ما وقع، رغم غرابة ما وقع، فقد اتخذ الحوت (سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ

عَجَبًا)، كان أمرًا عجيبًا ما رآه يوشع بن نون، لقد رأى الحوت يشق الماء فيترك علامة وكأنه طير يتلوى على الرمال.

سَعِد موسى بمروق الحوت إلى البحر، و(قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ..)،هذا ما كنا نريده. إن تسرب الحوت يحدد المكان الذي سنلتقي فيه بالرجل العالِم، ويرتد موسى وفتاه يقصّان أثرهما عائدين. انظر إلى بداية القصة، وكيف تجيء غامضة أشد الغموض، مبهمة أعظم الإبهام؟

حيث وصل موسى إلى المكان الذي تسرب منه الحوت، وصلا إلى الصخرة التي ناما عندها، وتسرب عندها الحوت من السلة إلى البحر، وهناك وجدا رجلاً.

يقول البخاري:"إن موسى وفتاه وجدا الخضر مُسجّى بثوبه، وقد جعل طرفه تحت رجليه وطرفًا تحت رأسه".

فسلّم عليه موسى، فكشف عن وجهه، وقال: "هل بأرضك سلام؟ من أنت؟".

قال موسى: أنا موسى.

قال الخضر: موسى نبي إسرائيل، عليك السلام يا نبي إسرائيل.
قال موسى: وما أدراك بي؟

قال الخضر: الذي أدراك بي ودلك علي.. ماذا تريد يا موسى؟

قال موسى ملاطفًا مبالغًا في التوقير: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

قال الخضر: "أما يكفيك أن التوراة بيديك، وأن الوحي يأتيك؟ يا موسى ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾".

نريد أن نتوقف لحظة لنلاحظ الفرق بين سؤال موسى الملاطف المغالي في الأدب، ورد الخضر الحاسم الذي يُفهم موسى أن علمه لا ينبغي لموسى أن يعرفه، كما أن علم موسى هو علم لا يعرفه الخضر، يقول المفسرون:"إن الخضر قال لموسى: إن علمي أنت تجهله، ولن تطيق عليه صبرًا، لأن الظواهر التي ستحكم بها على علمي لن تشفي قلبك ولن تعطيك تفسيرًا، وربما رأيت في تصرفاتي

ما لا تفهم له سببًا أو تدري له علة،إذن لن تصبر على علمي يا موسى".

احتمل موسى كلمات الصد القاسية وعاد يرجوه أن يسمح له بمصاحبته والتعلم منه، وقال له موسى فيما قال إنه سيجده إن شاء الله صابرًا ولا يعصي له أمرًا.

تأمل كيف يتواضع كليم الله، ويؤكد للعبد المدثر بالخفاء أنه لن يعصي له أمرًا.

قال الخضر لموسى –عليهما السلام–:"إن هناك شرطًا يشترطه لقبول أن يصاحبه موسى ويتعلم منه، هو ألا يسأله عن شيء حتى يحدثه هو عنه، فوافق موسى على الشرط وانطلقا".

- <u>الخضر وموسى</u> :

انطلق موسى مع الخضر يمشيان على ساحل البحر. مرت سفينة، فطلب الخضر وموسى من أصحابها أن يحملوهما، وعرف أصحاب السفينة الخضر فحملوه وحملوا موسى دون أجر، إكرامًا للخضر،

وفوجئ موسى حين رست السفينة وغادرها أصحابها وركابها، فوجئ أن الخضر يتخلف فيها، لم يكد أصحابها يبتعدون حتى بدأ الخضر يخرق السفينة، اقتلع لوحًا من ألواحها وألقاه في البحر فحملته الأمواج بعيدًا.

فاستنكر موسى فعلة الخضر. لقد حملنا أصحاب السفينة بغير أجر، أكرمونا،وها هو ذا يخرق سفينتهم ويفسدها، كان التصرف من وجهة نظر موسى معيبًا، وغلبت طبيعة موسى المندفعة عليه، كما حركته غيرته على الحق، فاندفع يحدث أستاذه ومعلّمه وقد نسي شرطه الذي اشترطه عليه: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾.

وهنا يلفت العبد الرباني نظر موسى إلى عبث محاولة التعليم منه، لأنه لن يستطيع الصبر عليه ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، ويعتذر موسى بالنسيان ويرجوه ألا يؤاخذه وألا يرهقه ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾.

سارا معا، فمرا على حديقة يلعب فيها الصبيان، حتى إذا تعبوا من اللعب انتحى كل واحد منهم ناحية واستسلم للنعاس، فوجئ موسى بأن العبد الرباني يقتل غلامًا، ويثور موسى سائلًا عن الجريمة التي ارتكبها هذا الصبي ليقتله هكذا، يعاود العبد الرباني تذكيره بأنه أفهمه أنه لن يستطيع الصبر عليه (قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا)، ويعتذر موسى بأنه نسي ولن يعاود الأسئلة وإذا سأله مرة أخرى سيكون من حقه أن يفارقه (قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا).

ومضى موسى مع الخضر، فدخلا قرية بخيلة، لا يعرف موسى لماذا ذهبا إلى القرية؟ ولا يعرف لماذا يبيتان فيها؟ نفد ما معهما من الطعام، فاستطعما أهل القرية فأبوا أن يضيفوهما، وجاء عليهما المساء، وأوى الاثنان إلى خلاء فيه جدار يريد أن ينقض، جدار يتهاوى ويكاد يهم بالسقوط.. وفوجئ موسى بأن الرجل العابد ينهض ليقضي الليل كله في إصلاح الجدار وبنائه من جديد، ويندهش موسى من تصرف رفيقه ومعلمه، إن القرية بخيلة، لا

يستحق من فيها هذا العمل المجاني ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، انتهى الأمر بهذه العبارة، قال عبد الله لموسى: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

لقد حذر العبد الرباني موسى من مغبة السؤال. وجاء دور التفسير الآن.

إن كل تصرفات العبد الرباني التي أثارت موسى وحيرته لم يكن حين فعلها تصدر عن أمره، كان ينفذ إرادة عليا، وكانت لهذه الإرادة العليا حكمتها الخافية، وكانت التصرفات تشي بالقسوة الظاهرة، بينما تخفي حقيقتها رحمة حانية، وهكذا تخفي الكوارث أحيانًا في الدنيا جوهر الرحمة، وترتدي النعم ثياب المصائب وتجيد التنكر، وهكذا يتناقض ظاهر الأمر وباطنه، ولا يعلم موسى، رغم علمه الهائل غير قطرة من علم العبد الرباني، ولا يعلم العبد الرباني من علم الله إلا بمقدار ما يأخذ العصفور الذي يبلل منقاره في البحر، من ماء البحر.

كشف العبد الرباني لموسى شيئين في الوقت نفسه، كشف له أن علمه -أي علم موسى- محدود، كما كشف له أن كثيرًا من المصائب التي تقع على الأرض تخفي في ردائها الأسود الكئيب رحمة عظمى.

إن أصحاب السفينة سيعتبرون خرق سفينتهم مصيبة جاءهم، بينما هي نعمة تتخفى في زي المصيبة، نعمة لن تكشف النقاب عن وجهها إلا بعد أن تنشب الحرب ويصادر الملك كل السفن الموجودة غصبا، ثم يفلت هذه السفينة التالفة المعيبة، وبذلك يبقى مصدر رزق الأسرة عندهم كما هو، فلا يموتون جوعًا. أيضًا سيعتبر والد الطفل المقتول وأمه أن كارثة قد دهمتهما لقتل وحيدهما الصغير البريء، غير أن موته يمثل بالنسبة لهما رحمة عظمى، فإن الله سيعطيهما بدلًا منه غلامًا يرعاهما في شيخوختهما ولا يرهقهما طغيانًا وكفرًا كالغلام المقتول.

وهكذا تختفي النعمة في ثياب المحنة، وترتدي الرحمة قناع الكارثة، ويختلف ظاهر الأشياء عن باطنها حتى ليحتج نبي الله موسى إلى تصرف يجري أمامه، ثم يستلفته عبد من عباد الله إلى حكمة التصرف ومغزاه ورحمة الله الكلية التي تخفي نفسها وراء أقنعة عديدة.

أما الجدار الذي أتعب نفسه بإقامته، من غير أن يطلب أجرًا من أهل القرية، كان يخبئ تحته كنزًا لغلامين يتيمين ضعيفين في المدينة، ولو تُرِك الجدار ينقض لظهر من تحته الكنز فلم يستطع الصغيران أن يدفعا عنه.

ولما كان أبوهما صالحًا فقد نفعهما الله بصلاحه في طفولتهما وضعفهما، فأراد أن يكبرا ويشتد عودهما ويستخرجا كنزهما وهما قادران على حمايته.

ثم ينفض الرجل يده من الأمر، فهي رحمة الله التي اقتضت هذا التصرف. وهو أمر الله لا أمره،فقد أطلعه على الغيب في هذه

المسألة وفيما قبلها، ووجهه إلى التصرف فيها وفق ما أطلعه عليه من غيبه.

واختفى هذا العبد الصالح، لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول، إلا أن موسى تعلم من صحبته درسين مهمين:

تعلم ألا يغترّ بعلمه في الشريعة، فهناك علم الحقيقة، وتعلم ألا يتجهم قلبه لمصائب البشر، فربما تكون يد الرحمة الخالقة تخفي سرها من اللطف والإنقاذ، والإيناس وراء أقنعة الحزن والآلام والموت.

هذه هي الدروس التي تعلمها موسى كليم الله عز وجل ورسوله من هذا العبد المدثر بالخفاء.والآن من يكون صاحب هذا العلم إذن؟ أهو ولي أم نبي؟

يرى كثير من الصوفية أن هذا العبد الرباني ولي من أولياء الله تعالى، أطلعه الله على جزء من علمه اللدني بغير أسباب انتقال العلم المعروفة، ويرى بعض العلماء أن هذا العبد الصالح كان نبيًّا،

ويحتج أصحاب هذا الرأي بأن سياق القصة يدل على نبوته من وجوه:

١. أحدها قوله تعالى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥)). "الكهف"

٢. والثاني قول موسى له: (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧)وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩)قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)). "الكهف"

فلو كان وليًا ولم يكن نبيًّا، لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد على موسى هذا الرد، ولو أنه كان غير نبي، لكان هذا معناه أنه ليس معصومًا، ولم يكن هناك دافع لموسى، وهو النبي العظيم، وصاحب العصمة، أن يلتمس علمًا من ولي غير واجب العصمة.

٣. والثالث أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام بوحي من الله وأمر منه، وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته، لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يُلقى في خلده، لأن خاطره ليس بواجب العصمة، إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق. إذًا ففي إقدام الخضر على قتل الغلام دليل نبوته.

٤. والرابع قول الخضر لموسى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾، يعني أن ما فعلته لم أفعله من تلقاء نفسي، بل أُمرت من الله وأُوحي إليّ فيه.

فرأى العلماء أن الخضر نبي، أما العُبّاد والصوفية رأوا أنه ولي من أولياء الله.

ومن كلمات الخضر التي أوردها الصوفية عنه، قول وهب بن منبه: "قال الخضر:يا موسى إن الناس معذبون في الدنيا على قدر همومهم بها"، وقول بشر بن الحارث الحافي:"قال موسى للخضر: أوصني، قال الخضر: يسر الله عليك طاعته".

ونحن نميل إلى اعتباره نبيًّا لعلمه اللدني، غير أننا لا نجد نصًا في سياق القرآن على نبوته، ولا نجد نصًا مانعًا من اعتباره وليًا آتاه الله بعض علمه اللدني، ولعل هذا الغموض حول شخصه الكريم جاء متعمدًا، ليخدم الهدف الأصلي للقصة، ولسوف نلزم مكاننا فلا نتعداه ونختصم حول نبوته أو ولايته، وإن أوردناه في سياق أنبياء الله، لكونه معلمًا لموسى وأستاذًا له فترة من الزمن.

يأجوج ومأجوج

- القصـــة :

يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان، وقيل: "عربيان".

وعلى هذا يكون اشتقاقهما من أجّت النار أجيجًا: إذا التهبت، أو من الأجاج:وهو الماء شديد الملوحة، المحرق من ملوحته، وقيل عن الأج: وهو سرعة العدو، وقيل: مأجوج من ماج إذا اضطرب،ويؤيد هذا الاشتقاق قوله تعالى(وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض)، وهما على وزن يفعول في (يأجوج)، ومفعول في (مأجوج) أو على وزن فاعول فيهما.

هذا إذا كان الاسمان عربيان، أما إذا كانا أعجميين فليس لهما اشتقاق، لأن الأعجمية لا تشتق، وأصل يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم وحواء عليهما السلام، وهما من ذرية يافث أبي الترك، ويافث من ولد نوح عليه السلام، والذي يدل على أنهم من ذرية آدم عليه السلام ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله (ﷺ) ، قال: (يقول الله تعالى: يا

آدم، فيقول لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول اخرج بعث النار. قال: وما بعث النار ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. قالوا:

وأيّنا ذلك الواحد؟، قال: "أبشروا فإن منكم رجلًا ومن يأجوج ومأجوج ألف"، رواه البخاري.

وعن عبدالله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وأنهم لو أرسلوا إلى الناس لأفسدوا عليهم معايشهم، ولن يموت منهم أحد إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا".

* صفتهم:

هم يشبهون أبناء جنسهم من الترك المغول، صغار العيون، ذلف الأنوف، صهب الشعور، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، على أشكال الترك وألوانهم. وروى الإمام أحمد: "خطب

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب، فقال: (إنكم تقولون لا عدو،وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوًا حتى يأتي يأجوج ومأجوج: عراض الوجوه، صغار العيون، شهب الشعاف(الشعور)، من كل حدب ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة)".

وقد ذكر ابن حجر بعض الآثار في صفتهم ولكنها كلها روايات ضعيفة، ومما جاء فيها أنهم ثلاثة أصناف:

- صنف أجسادهم كالأرز وهو شجر كبير جدًّا.

- وصنف أربعة أذرع في أربعة أذرع.

- وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى.

- وجاء أيضًا أن طولهم شبر وشبران، وأطولهم ثلاثة أشبار.

والذي تدل عليه الروايات الصحيحة أنهم رجال أقوياء، لا طاقة لأحد بقتالهم، ويبعد أن يكون طول أحدهم شبرًا أو شبرين، ففي

حديث النوّاس بن سمعان أن الله تعالى يوحي إلى عيسى عليه السلام بخروج يأجوج ومأجوج، وأنه لا يُدان لأحد بقتالهم، ويأمره بإبعاد المؤمنين من طريقهم، فيقول لهم (حرز عبادي إلى الطور).

* أدلة خروجهم:

قال تعالى: (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) . الأنبياء:٩٦-٩٧)

وقال تعالى في قصة ذي القرنين: (ثم أتبع سببًاحتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارًا قال آتوني أفرغ

عليه قطرًا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقًا وتركنا بعضهم يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعًا).

"الكهف: ٩٢- ٩٩"

وهذه الآيات تدل على خروجهم، وأن هذه علامة على قرب النفخ في الصور وخراب الدنيا، وقيام الساعة.

وعن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش،أن رسول الله (ﷺ) دخل عليها يومًا فزِعًا، يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها)، قالت زينب بنت جحش: فقلت يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قـــال: " نعم، إذا كثر الخبث".

وجاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، وفيه: (إذا أوحى الله على عيسى أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم،

فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أولئك على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب إلى الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف(دود يكون في أنوف الإبل والغنم)في رقابهم فيصبحون فرسى (أي قتلى) كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله). رواه مسلم، وزاد في رواية – بعد قوله (لقد كان بهذه مرة ماء) – (ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلمّ فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا).

وجاء في حديث حذيفة رضي الله عنه في ذكر أشراط الساعة فذكر منها (يأجوج ومأجوج). رواه مسلم.

هل تعرف سد يأجوج ومأجوج؟

*باقي القصـــة:

بنى ذو القرنين سد يأجوج ومأجوج، ليحجز بينهم وبين جيرانهم الذين استغاثوا به منهم، كما قال تعالى: (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا)."الكهف"

هذا ما جاء به الكلام على بناء السد، أما مكانه ففي جهة المشرق لقوله تعالى (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) ولا يعرف مكان هذا السد بالتحديد، والذي تدل عليه الآيات أن السد بني بين جبلين، لقوله تعالى: (حتى إذا بلغ بين السدين)، والسدان: هما جبلان متقابلان، ثم قال (حتى إذا ساوى بين الصدفين)، أي: حاذى به رؤوس الجبلين وذلك بزبر الحديد، ثم أفرغ عليه نحاس مذابًا، فكان السد محكمًا.

وهذا السد موجود إلى أن يأتي الوقت المحدد لدك هذا السد، وخروج يأجوج ومأجوج، وذلك عند دنو الساعة، كما قال تعالى: (قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاءً وكان وعد ربي حقًاوتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعًا). "الكهف"

والذي يدل على أن هذا السد موجود لم يندك، ما رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي (ﷺ)، قال: (يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه، قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا، قال: فيعيده الله عز وجل كأشد ما كان، حتى إذا بلغوا مدهم، وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا إن شاء الله تعالى، واستثنى. قال:فيرجعون وهو كهيئته حين تركوه، فيخرقونه ويخرجون على الناس، فيستقون المياه، ويفر الناس منهم). رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم.

قصة ذو القرنين

قصة ذي القرنين

* ورد ذكر القصة في سورة الكهف (الآيات ٨٣-٩٨).

قال تعالى(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ

انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا).

***القصـــة:**

لا نعلم قطعًا من هو ذو القرنين. كل ما يخبرنا القرآن عنه أنه ملك صالح، آمن بالله والبعث والحساب، فمكّن الله له في الأرض، وقوّى ملكه، ويسّر له فتوحاته.

بدأ ذو القرنين التجوال بجيشه في الأرض، داعيًا إلى الله،فاتجه غربًا، حتى وصل للمكان الذي تبدو فيه الشمس كأنها تغيب من وراءه، وربما يكون هذا المكان هو شاطئ المحيط الأطلسي، حيث كان يظن الناس ألا يابسة وراءه، فألهمه الله – أو أوحى إليه– أنه مالك أمر القوم الذين يسكنون هذه الديار، فإما أن يعذبهم أو أن يحسن إليهم.

فما كان من الملك الصالح، إلا أن وضّح منهجه في الحكم، فأعلن أنه سيعاقب المعتدين الظالمين في الدنيا، ثم حسابهم على الله يوم القيامة، أما من آمن، فسيكرمه ويحسن إليه.

بعد أن انتهى ذو القرنين من أمر الغرب، توجه للشرق. فوصل لأول منطقة تطلع عليها الشمس، وكانت أرضًا مكشوفة لا أشجار فيها ولا مرتفعات تحجب الشمس عن أهلها، فحكم ذو القرنين في المشرق نفس حكمه في المغرب، ثم انطلق. وصل ذو القرنين في رحلته، لقوم يعيشون بين جبلين أو سدّين بينهما فجوة، وكانوا يتحدثون بلغتهم التي يصعب فهمها، وعندما وجدوه ملكًا قويًّا طلبوا منه أن يساعدهم في صد يأجوج ومأجوج بأن يبني لهم سدًّا لهذه الفجوة، مقابل خراج من المال يدفعونه له. فوافق الملك الصالح على بناء السد، لكنه زهد في مالهم، واكتفى بطلب مساعدتهم في العمل على بناء السد وردم الفجوة بين الجبلين.

استخدم ذو القرنين وسيلة هندسية مميزة لبناء السّد، فقام أولًا بجمع قطع الحديد ووضعها في الفتحة حتى تساوى الركام مع قمتي الجبلين، ثم أوقد النار على الحديد، وسكب عليه نحاسًا مذابًا ليلتحم وتشتد صلابته. فسُدّت الفجوة، وانقطع الطريق على يأجوج ومأجوج، فلم يتمكنوا من هدم السّد ولا تسوّره،وأَمِن القوم الضعفاء من شرّهم.

بعد أن انتهى ذو القرنين من هذا العمل الجبار، نظر للسّد، وحمد الله على نعمته، وردّ الفضل والتوفيق في هذا العمل لله سبحانه وتعالى، فلم تأخذه العزة، ولم يسكن الغرور قلبه.

يقول سيّد قطب رحمه الله: "وبذلك تنتهي هذه الحلقة من سيرة ذي القرنين، النموذج الطيب للحاكم الصالح، يمكّنه الله في الأرض، وييسر له الأسباب، فيجتاح الأرض شرقًا وغربًا؛ ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغى ولا يتبطر،ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للغَنْم المادي، واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق؛ ولا يُسخّر أهلها في أغراضه

وأطماعه، إنما ينشر العدل في كل مكان يحلّ به، ويساعد المتخلفين، ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل؛ ويستخدم القوة التي يسّرها الله له في التعمير والإصلاح، ودفع العدوان وإحقاق الحق، ثم يرجع كل خير يحققه الله على يديه إلى رحمة الله وفضل الله، ولا ينسى وهو في إبان سطوته قدرة الله وجبروته، وأنه راجع إلى الله". (في ظلال القرآن)

*موقع القصة في القرآن الكريم:

ورد ذكر القصة في سورة البقرة (الآية ٢٥٩)، سورة التوبة (الآيات ٣٠-٣١).

قال تعالى في سورة"البقرة": (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا

لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩))

وقوله تعالى في سورة "التوبة":(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)).

فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه
وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس

قصة العزير وحمـــاره

* قال إسحاق بن بشر:

إن عزيرًا كان عبدًا صالحًا حكيمًا خرج ذات يوم إلى ضيعة له يعهدها، فلما انصرف أتى إلى خربة حين قامت الظهيرة وأصابه الحر، ودخل الخربة وهو على حماره، فنزل عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب، فنزل في ظل تلك الخربة وأخرج قصعة، فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة ثم أخرج خبزًا يابسًا فألقاه في تلك القصعة في العصير ليبتلّ لكي يأكله، ثم استلقى على قفاه وأسند رجليه إلى الحائط، فنظر إلى سقف تلك البيوت ورأى ما فيها وهي قائمة على عروشها وقد باد أهلها ورأى عظامًا بالية، فقال: {أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا}، فلم يشك أن الله يحييها ولكن قالها تعجبًا، فبعث الله ملك الموت فقبض روحه، فأماته الله مائة عام.

فلما أتت عليه مائة عام، وكانت فيما بين ذلك في بني إسرائيل أمور وأحداث، قال: فبعث الله إلى عزير ملكًا، فخلق قلبه ليعقل وعينيه لينظر بهما فيعقل كيف يحيي الله الموتى؛ ثم ركب خلفه وهو

ينظر، ثم كسا عظامه اللحم والشعر والجلد ثم نفخ فيه الروح، كل ذلك وهو يرى ويعقل، فاستوى جالسًا، فقال له الملك: كم لبثت؟ قال: لبثت يومًا أو بعض يوم، وذلك أنه كان لبث صدر النهار عند الظهيرة وبعث في آخر النهار والشمس لم تغب، فقال: أو بعض يوم، ولم يتم لي يوم، فقال له الملك: بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك، يعني الطعام: الخبز اليابس، وشرابه: العصير الذي كان اعتصره في القصعة، فإذا هما على حالهما، لم يتغير العصير والخبز يابس.

فذلك قوله (لَمْ يَتَسَنَّهْ) يعني لم يتغير، وكذلك التين والعنب غضّ لم يتغير شيء من حالهما، فكأنه أنكر في قلبه، فقال له الملك: أنكرت ما قلت لك؟ فانظر إلى حمارك، فنظر إلى حماره قد بليت عظامه وصارت نخرة، فنادى الملك عظام الحمار فأجابت وأقبلت من كل ناحية حتى ركبه الملك وعزير ينظر إليه، ثم ألبسها العروق والعصب ثم كساها اللحم ثم أنبت عليها الجلد والشعر، ثم نفخ فيه الملك فقام الحمار رافعًا رأسه وأذنيه إلى السماء ناهقًا يظن القيامة قد قامت.

فذلك قوله: {وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا}، يعني وانظر إلى عظام حمارك كيف يركب بعضها بعضًا في أوصالها حتى إذا صارت عظامًا مصورًا حمارًا بلا لحم، ثم انظر كيف نكسوها لحمًا، {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}من إحياء الموتى وغيره.

قال: فركب حماره حتى أتى محلته، فأنكره الناس وأنكر الناس وأنكر منزله، فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله، فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمة لهم، فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة كانت عرفته وعقلته، فلما أصابها الكبر أصابها الزمان، فقال لها عزير: يا هذه أهذا منزل عزير قالت: نعم هذا منزل عزير؛ فبكت وقالت: ما رأيت أحدًا من كذا وكذا سنة يذكر عزيرًا وقد نسيه الناس؛ قال: إني أنا عزير، كان الله أماتني مائة سنة ثم بعثني؛ قالت: سبحان الله! فإن عزيرًا قد فقدناه منذ مائة سنة، فلم نسمع له بذكر؛ قال: فإني أنا عزير، قالت: فإن عزيرًا رجل مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء، فادعُ الله أن يرد عليّ بصري

حتى أراك، فإن كنت عزيرًا عرفتك، قال: فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا وأخذ بيدها وقال: قومي بإذن الله، فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما شطت من عقال، فنظرت، فقالت: أشهد أنك عزير.

وانطلقت إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم، وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنى بنية شيوخ في المجلس، فنادتهم فقالت: هذا عزير قد جاءكم؛ فكذبوها، فقالت: أنا فلانة مولاتكم، دعا لي ربه فردّ علي بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه؛ قال: فنهض الناس فأقبلوا إليه فنظروا إليه، فقال ابنه: كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه، فكشف عن كتفيه فإذا هو عزير، فقالت بنو إسرائيل: فإنه لم يكن فينا أحد حفظ التوراة فما حدثنا غير عزير، وقد حرق بختنصر التوراة ولم يبقَ منها شيء إلا ما حفظت الرجال، فاكتبها لنا، وكان أبوه سروخًا قد دفن التوراة أيام بختنصر في موضع لم يعرفه أحد غير عزير، فانطلق بهم إلى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التوراة، وكان قد عفن الورق ودرس الكتاب.

قال: وجلس في ظل شجرة وبنو إسرائيل حوله، فجدد لهم التوراة ونزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه، فتذكر التوراة فجددها لبني إسرائيل، فمِن ثَم قالت اليهود: عزير ابن الله، للذي كان من أمر الشهابين وتجديده التوراة وقيامه بأمر بني إسرائيل، وكان جدد لهم التوراة بأرض السواد بدير حزقيل، والقرية التي مات فيها يقال لها ساير أباذ.

قال ابن عباس: فكان كما قال الله تعالى: {وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ}يعني لبني إسرائيل، وذلك أنه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب؛ لأنه مات وهو ابن أربعين سنة فبعثه الله شابًا كهيئته يوم مات.

قال ابن عباس: بُعث بعد بختنصر وكذلك قال الحسن وقد أنشد أبو حاتم السجستاني في معنى ما قاله ابن عباس:

وأسود رأس شاب من قبله ابنه ومن قبله ابن ابنه فهو أكبر
يرى ابنه شيخًا يدب على عصا ولحيته سوداء والرأس أشقر
وما لابنه حيل و لا فضل قوة يقوم كما يمشي الصبي فيعثر
يعد ابنه في الناس تسعين حجة وعشرين لا يجري ولا يتبختر
وعمر أبيه أربعون أمرها ولابن ابنه تسعون في الناس غبر

لما هو في المعقول إن كنت داريا وإن كنت لا تدري فبالجهل تعذر المشهور أن عزيرًا من أنبياء بني إسرائيل، وأنه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى، وأنه لما لم يبقَ في بني إسرائيل من يحفظ التوراة ألهمه الله حفظها فسردها على بني إسرائيل، كما قال وهب بن منبه: أمر الله ملكًا فنزل بمعرفة من نور فقذفها في عزير فنسخ التوراة حرفًا بحرف حتى فرغ منها.

وروى ابن عساكر عن ابن عباس أنه سأل عبد الله بن سلام عن قول الله تعالى: {وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ}لَمَ قالوا ذلك؟ قال بنو إسرائيل: لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا في كتاب، وأن عزيرًا قد جاءنا بها من غير كتاب.

ولهذا يقول كثير من العلماء: إن تواتر التوراة انقطع في زمن العزير.

وهذا متجه جدًا إذا كان العزير غير نبي كما قاله عطاء بن أبي رباح والحسن البصري، وفيما رواه إسحاق بن بشر عن مقاتل بن سليمان، عن عطاء، وعن عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه، ومقاتل عن عطاء بن أبي رباح قال: كان في الفترة تسعة أشياء: بختنصر وجنة صنعاء وجنة سبأ وأصحاب الأخدود وأمر حاصورا وأصحاب الكهف وأصحاب الفيل ومدينة أنطاكية وأمر تبع.

وقال إسحاق بن بشر: أنبأنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: كان أمر عزير وبختنصر في الفترة.

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أولى الناس بابن مريم لأنا، إنه ليس بيني وبينه نبي".

وقال وهب بن منبه: كان فيما بين سليمان وعيسى عليهما السلام.

وقد روى ابن عساكر عن أنس بن مالك وعطاء بن السائب أن عزيرًا كان في زمن موسى بن عمران، وأنه استأذن عليه فلم يأذن له، يعني لما كان من سؤاله عن القدر، وأنه انصرف وهو يقول: مائة موتة أهون من ذل ساعة.

وفي معنى قول عزير مائة موتة أهون من ذل ساعة قول بعض الشعراء:

قد يصبر الحر على السيف ويأنف الصبر على الحيف
ويؤثر الموت على حالة يعجز فيها عن قرى الضيف

فأما ما روى ابن عساكر وغيره عن ابن عباس ونوف البكالي وسفيان الثوري وغيرهم، من أنه سأل عن القدر فمحى اسمه من

ذكر الأنبياء، فهو منكر وفي صحته نظر، وكأنه مأخوذ عن الإسرائيليات.

وقد روى عبد الرزاق وقتيبة بن سعيد، عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني، عن نوف البكالي قال: قال عزير فيما يناجي ربه: يا رب تخلق خلقًا فتضل من تشاء وتهدي من تشاء؟ فقيل له: أعرض عن هذا؛ فعاد فقيل له: لتعرضن عن هذا أو لأمحون اسمك من الأنبياء، إني لا أسال عما أفعل وهم يسألون، وهذا ما يقتضي وقوع ما توعد عليه لو عاد فما مُحي.

وقد روى الجماعة سوى الترمذي من حديث يونس بن يزيد، عن سعيد وأبي سلمة، عن أبي هريرة، وكذلك رواه شعيب عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر بها فأحرقت بالنار، فأوحى الله إليه: فهلاّ نملة واحدة، فروى إسحاق بن بشر عن ابن جريج، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه أنه عزير، وكذا روي عن ابن عباس والحسن البصري أنه عزير، فالله أعلم.

قصة قوم تبع

قصة قوم تبع

قال سبحانه وتعالى في سورة الدخان: "أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ"، وقال في سورة ق:

"وَأصحاب الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيد"، في هاتين الآيتين ذكر الله سبحانه وتعالى "قوم تبّع"، فمن هؤلاء القوم؟ وما أهم ما عرف عنهم؟ هذا ما سنجيب عنه في مقالنا هذا.

قوم تبّع هم قوم سكنوا "اليمن" منذ قديم الزمن، وقد كانوا عربًا من قبيلة "قحطان"، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة ق، وسورة سبأ، وسورة الدخان.و"تبّع" هو ملك هؤلاء القوم وقد كان ملكًا على بلاد اليمن بما فيها حمير، وسبأ، وحضرموت، وتذكر الكتب القديمة أنّ "تبّع" هذا الملك كان مؤمنًا صالحًا، لما روي عن الرسول "صلّى الله عليه وسلّم": "لاتسبّوا تبّعًا فإنّه كان قد أسلم"، ويروى أيضًا أنّه قد تنبّأ بالرسول محمّد الصادق الأمين، وقد دعا الأوس والخزرج إلى الإيمان به عندما يسمعون به؛ وقد استطاع هذا الملك أن يفتح مدنًا كثيرة في العالم كالهند، وقد وصل إلى مكّة وكان يريد أن يهدم الكعبة إلّاأنّ مرضًا ألّم به أقعده وعجز

الأطباء عن علاجه، إلى أن أخبره أحد حاشيته أنّ نيته في هدم الكعبة سبب مرضه، ولما عزف عن ذلك عادت إليه صحته وكسا الكعبة ببردة يمانيّة، وذلك في القرن الخامس الميلادي؛ وقد سمّي هذا الملك بهذا الاسم "للظل أو ظل الشمس"، وذلك لأنّ هذا الملك أينما كان يسير بغزواته في أي مكان، تطلع عليه الشمس، وسمّي كذلك في رواية أخرى لكونه تتبعه الملوك وملوك اليمن خاصة، ثمّ أصبح اسم "تبّع" لقب يسمّى لكل من يتوّلى الملك عليهم كالفرعون، والقيصر، والكسرى، والنجاشيّ، وغيرهم.وقد أهلك الله سبحانه وتعالى قوم "تبّع"، ولكن لم يذكر بالتفصيل طريقة هلاكهم في القرآن الكريم، يقول تعالى في كتابه العزيز في سورة سبأ: "قَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ، إلى قوله تعالى: فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ".وقد فسّر بعض علماء القرآن أنّ هلاك هذا القوم كان في سيلٍ عرم، وذلك بعد

أن حذرهم الله بعذاب قوم فرعون وأن يعتبروا منه لكن دون فائدة، ومما يجدر ذكره أنّ بعض التفسيرات ترى أنّ ملك تبّع وقائدهم لم يهلك مع قومه؛ لأنّه قد حذرهم لكنهم لم ينصتوا إليه، وذلك لما روي عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها: "ألا ترى أن الله ذم قومه ولم يذمه"، وذلك لأنّه كان مؤمنًا صالحًا.

قصة قوم عاد ونبي الله هود

جاء النبي هود لهداية عمالقة حضرموت أحفاد سيدنا نوح أصحاب الحضارة المزدهرة الذين أنعم الله عليهم ببسطة في الخلقة، فخلقهم عمالقة عظامًا، فكان أقصرهم يصل طوله ١١ مترًا!

شيّدوا مدينة ارم العظيمة بعمدان ضخمة وأبراج شاهقة الارتفاع، وأطلق العرب عليها مدينة الـ"١٠٠٠" عمود. رجع أهلها إلى

عبادة الأوثان وإلى جانب هذا استكبروا على الخلق و اعتبروا أنفسهم أفضل من الجميع لكِبر حجمهم وعظمة مدينتهم ووفرة الطعام والشراب والثراء في بلادهم، فأرسل الله فيهم هودًا فلم يهتموا لأمره، وقالوا هذا ما وجدنا عليه أجدادنا ولكنهم نسوا أمر الطوفان ونسوا أن أجدادهم كانوا هم الخاسرون،فكان أمر الله أن أرسل عليهم إعصارًا "رياح الدبور" لمدة ٧ ليالٍ و ٨ أيام، فكانت ترفعهم لأعلى وتلقي بهم في الأرض صرعى،إلا من آمن منهم، و عن ذلك يقول الله في سوره فُصّلت: (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشدّ منا قوةأولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا فيأيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرةأخزى وهم لا ينصرون).

وليعتبر الكفرة ومنكرو الإسلام في عصرنا أراد الله أن يُثبت صدق القرآن للجميع، ففي عام ١٩٨١ اكتشف القمر الصناعي الأمريكي وجود مدينة عظيمه بالقرب من اليمن مردومه تحت

التراب، وتتميز تلك المدينة بأبراج عالية وعمدان عظيمة مغمورة بأكملها تحت الأرض، وفي بداية التسعينيات انتقل علماء الآثار للمنطقة وبدؤوا الحفر فاكتشفوا المدينة وجثث العمالقة، وبتحليل تلك الآثار وجدوها تعود لعام ٣٠٠٠ قبل الميلاد،أي في فترة الأسرة الفرعونية المصرية الأولى.

***نبي الله إدريس ثالث الأنبياء:**

إدريس هو حفيد النبيشيث، وُلِد وعاش في مصر، وهو أول من خاط الثياب، وأول من خطّ بالقلم وعلم المصريين قواعد إنشاء المدن، وهو أول من تكلّم في الفلك والطب وأنذر بالطوفان.
أنزل الله عليه ٣٠ صحيفة (وصية) نظرًا لبدء تطور الإنسان فكان يحتاج لقواعد وأوامر جديدة من الله ليتدبر حياته ويستطيع أن يجاري الدنيا بخطواتها السريعة.

أحب المصريون النبي إدريس لأنه هو من نظّم حياتهم، وبعد وفاته خلّدوا ذكراه بتماثيل تشبهه، ومع مرور الزمن ووسوسة الشيطان أُقنعوا بألوهية الأصنام فعبدواإدريس وأطلقوا عليه لقب أوزوريس (الصنم في الصورة) وألفوا عنه الأسطورة الشهيرة مع إيزيس وابنه حورس، وقالوا:"إنه إله العالم السفلي وهو من يحاسب الموتى في العالم الآخَر".

توفي نبي الله إدريس عن عمر ناهز ٨٢ عامًا بعدأن رفعه الله حيًّا إلى السماء وأمر ملك الموت بقبض روحه في السماء الرابعة لحكمة يعرفها الله تعالى وحده، فقد قال في كتابه العزيز في سورة مريم:(واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقًا نبيًا ورفعناه مكانًا عليًّا).

قصص من القرأن الكريم
قصة أصحاب الرس

أصحاب الرس

كان من قصتهم، أنهم كانوا يعبدون شجرة صنوبر، يقال لها (شاهدرخت)، كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين، يقال لها (روشنا آب).

وإنما سمّوا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض، وذلك بعد سليمان عليه السلام، وكانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر، يقال له الرس من بلاد المشرق، وبهم سمي النهر، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر ولا أعمر منها، وذكر عليه السلام أسماءها، وكان أعظم مداينهم اسفندار، وهي التي ينزلها ملكهم، وكان يسمى تركوذ بن غابور بن يارش بن ساذن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم عليه السلام، وبها العين الصنوبرة وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة، وأجروا إليها نهرًا من العين التي عند الصنوبرة، فنبتت الحبة وصارت شجرة عظيمة وحرموا ماء العين والأنهار، فلا يشربون منها ولا أنعامهم، ومن فعل ذلك قتلوه،ويقولون هو حياة

آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتنا ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم، وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيدًا يجتمع إليه أهلها فيضربون على الشجرة التي بها كلة من حرير، فيها من أنواع الصور ثم يأتون بشاة وبقر فيذبحونها قربانًا للشجرة،ويشعلون فيها النيران بالحطب، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خرّوا سجدًا يبكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم.

فكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصبي، أن قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفسًا وقروا عينًا، فيرفعون رؤوسهم عند ذلك ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف ويأخذون الدستبند – يعني الصنج – فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون، وسمّت العجم شهورها اشتقاقًا من تلك القرى.

حتى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليها صغيرهم وكبيرهم فضربواعند الصنوبرة والعين سرادقَ من ديباج عليه من أنواع

الصور وجعلوا له اثني عشر بابًا، كل باب لأهل قرية منهم، ويسجدون للصنوبرة خارجًا من السرادق ويقرّبون لها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم.

فيجيء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكًا شديدًا ويتكلم من جوفها كلامًا جهوريًا ويعدهم ويمنّيهم بأكثر مما وعدَهم ومنّتهم الشياطين كلها فيحركون رؤوسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط ما لا يعيقون ولا يتكلمون من الشرب والعزف، فيكونون على ذلك اثني عشر يومًا لياليها بعدد أعيادهم سائر السنة ثم ينصرفون، فلما طال كفرهم بالله عز وجل وعبادتهم غيره، بعث الله نبيًّا من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب، فلبث فيهم زمانًا طويلًا يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل ومعرفة ربوبيته، فلا يتبعونه.

فلما رأى شدة تماديهم في الغي وحضر عيد قريتهم العظمى، قال: "يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذيبي وغدوا يعبدون شجرة لا تضر ولا تنفع ، فأيبس شجرهم أجمع وأرِهم قدرتك وسلطانك،فأصبح

القوم وقد أيبس شجرهم كله، فهالهم ذلك، فصاروا فرقتين، فرقة قالت: "سَحَر آلهتكم هذا الرجل الذي زعم أنه رسول رب السماء والأرض إليكم،ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلهه، وفرقة قالت: لا ، بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويدعوكم إلى عبادة غيرها، فحجب حسنها وبهاءها لكي تغضبوا لها، فتنصروا منه وأجمع رأيهم على قتله، فاتخذوا أنابيب طوالًا ونزحوا ما فيها من الماء، ثم حفروا في قرارها بئرًا ضيقة المدخل عميقة وأرسلوا فيها نبيهم، وألقموا فاها صخرة عظيمة، ثم أخرجوا الأنابيب من الماء وقالوا: "نرجو الآن أن ترضى عنا آلهتنا إذا رأت أننا قد قتلنا من يقع فيها ويصد عن عبادتها ودفناه تحت كبيرها يتشفى منه فيعود لنا نورها ونضرتها كما كانت.

فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم عليه السلام، وهو يقول:"سيدي قد ترى ضيق مكاني وشدة كربي، فارحم ضعف ركني، وقلة حيلتي، وعجّل بقبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي، حتى مات"، فقال الله جل جلاله لجبرئيل عليه السلام: (أيظن

عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي وأمِنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي أن يقوموا لغضبي أو يخرجوا من سلطاني كيف وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخشَ عقابي، وإني حلفت بعزتيلأجعلنهم نكالًا وعبرة للعالمين).

فلم يرعَهم وهم في عيدهم ذلك إلا بريح عاصف شديد الحمرة، فتحيروا فيها وذعروا منها، ثم صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقد وأظلتهم سحابة سوداء، فألقت عليهم كالقبة جمرًا يلتهب، فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص بالنار، فنعوذ بالله تعالى من غضبه ونزول نقمته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي كتاب (العرائس)،ورد أن أهل الرس كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان، وكان بأرضهم جبل يقال له فتح باباً في السماء سيلًا، وكانت العنقاء تتشابه وهي أعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون، وسموها العنقاء لطول عنقها، وكانت تكون في ذلك الجبل تنقض على الطير تأكله، فجاءت ذات يوم، فأعوزها الطير،

فانقضت على صبي فذهبت به،ثم إنها انقضّت على جارية فأخذتها فضمتها إلى جناحين صغيرين سوى الجناحين الكبيرين، فشكوا إلى نبيهم، فقال: "اللهم خذها واقطع نسلها فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم يُرَ لها أثر، فضربتها العرب مثلًا في أشعارها وحكمها وأمثالها".

ثم إن أصحاب الرس قتلوا نبيهم، فأهلكهم الله تعالى، وبقي نهرهم ومنازلهم مائتي عام لا يسكنها أحد، ثم أتى الله بقرن بعد ذلك فنزلوها، وكانوا صالحين سنين، ثم أحدثوا فاحشة جعلت الرجل يدعو ابنته وأخته وزوجته فيعطيها جاره وأخاه وصديقه يلتمس بذلك البر والصلة، ثم ارتفعوا من ذلك إلى نوع أخزى، ترك الرجال للنساء حتى شبقن واستغنين بالرجال، فجاءت شيطانتهن في صورة امرأة وهي الدلهات، كانت في بيضة واحدة فشهت إلى النساء ركوب بعضهن بعضًا وعلمتهن كيف يضعن، فأصل ركوب النساء بعضهن بعضًا من الدلهات.

فسلّط الله على ذلك القرن صاعقة في أول الليل وخسفًا في آخر الليل وخسفًا مع الشمس، فلم يبقَ منهم باقية وبادت مساكنهم، وأحسبها اليوم لا تُسكن.

خولة بنت ثعلبة

كانت خولة زوجة لابن عمها الصحابي أوس بن الصَّامت، وكان شيخًا كبيرًا قد ساء خلقه وضجر ولمم، واللّمم نوع من الجنون، وكان ضعيف البصر، فدخل على خولة يومًا فراجعته بشيءٍ، فغضب عليها وقال لها: "أنت عليَّ كظهر أمي"، وكان ذلك القول في الجاهلية طلاقًا، وقيل كان الظِّهار في الجاهلية أشد الطّلاق

وأحرم الحرام، وكان الرجل إذا ظاهر من امرأته لم يرجع أبدًا، وكان ظهار أوس من خولة أول ظهار في الإسلام، ثم راودها أوس عن نفسها، فقالت له: "كلا لا تصل إليَّ وقد قلت ما قلت حتى أسأل رسول الله (ﷺ)، فأسقط في يده، وقال لها: ما أراك إلا قد حَرُمْتِ عليَّ، انطلقي إلى رسول الله فاسأليه، فذهبت خولة إلى رسول الله وقصّت عليه قصتها مع أوس، فقال لها رسول الله: ما أمرنا بشيءٍ من أمرك، ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق، وإنه أبو ولدي وأحبّ الناس إليَّ، فقال لها: "حَرُمت عليه"،فقالت: أشكو إلى الله فاقتي وتركي بغير أحد، وقد كبرت سني ودقّ عظمي".

وقيل: قالت اللهم إني أشكو إليك شدة وحدتي وما شق عليَّ من فراقه، وما نزل بي وبصبيتي، ثم قالت: يا رسول الله إن أوسًا تزوجني وأنا ذات مال وأهل، فلما أُكِل مالي، وذهب شبابي، ونفضت بطني، وتفرَّق أهلي، ظاهر مني، فما زادها رسول الله على قوله: "ما أراك إلا قد حرمت عليه"، فبكت وصاحت:

"أشكو إلى الله فقري ووحدتي وصبية صغارًا، إن ضمهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، ثم أخذت خولة ترفع رأسها إلى السماء"، وقالت السيدة عائشة (رضي الله عنها) وكانت قد شهدت حوار خولة مع رسول الله: "فبكيت وبكى من كان في البيت رحمة لها ورقة عليها"، فبينما فرغت عائشة من تمشيط شق رأس رسول الله وأخذت تمشط الآخر، أنزل الله عليه قوله: {قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّه يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ* الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ* وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّه بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ* فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (المجادلة)، فَسُري عن رسول الله وهو يتبسم،وقال لخولة: "مُريه فليحرر رقبة،فقالت: والله ماله خادم

غيري، فقال: مُريه فليصم شهرين متتابعين، فقالت:والله إنه لشيخ كبير، إنه إن لم يأكل في اليوم مرتين يندر بصره، فقال:فليطعم ستين مسكينًا، فقالت: والله مالنا اليوم وقيّة فقال: مُريه، فلينطلق إلى أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق من تمر فليتصدق به على ستين مسكينًا وليراجعك". فذهبت إلى زوجها أوس وقصّت عليه قصة حوارها مع رسول الله، وما قاله لها رسول الله بعد نزول الآيات عليه، فانطلق أوس وفعل، وقيل: فقال لها النبي: "اذهبي فجيئي بزوجك"، فذهبت فجاءت به وأدخلته على رسول الله، فقال له: "أتجد رقبة؟" قال: لا، ما لي بهذا من قدرة، قال:أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟، فقال: والذي بعثك بالحق إني إن لم آكل في اليوم مرتين كَلّ بصري، فقال: أفتستطيع أن تطعم ستين مسكينًا؟، قال:لا، إلا أن تعينني بها، فأعانه رسول الله، فكفَّر عنه.

وفي رواية أنه أعطاه مكتلًا يأخذ خمسة عشر صاعًا، وقال له: "أطعمه ستين مسكينًا"، فقال:على أفقر مني؟ فو الذي بعثك بالحقّ

ما بين لابتيها – يعني المدينة المنورة – أهل البيت أحوج إليه مني، فضحك رسول الله، وقال: "اذهب به إلى أهلك".

ومرّ عمر بن الخطّاب "رضي الله عنه" بخولة في أيام خلافته، فقالت: قف يا عمر، فوقف لها، ودنا منها، وأصغى إليها، وأطالت الوقوف، وأغلظت القول له، وقالت:هيا يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميرًا وأنت في سوق عكاظ ترعى الفتيان – أي الإماء والعبيد – بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمرًا، ثم لم تذهب الأيام حتى سُميت أمير المؤمنين، فاتقِ الله في الرّعية، واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فقال لها الجارود، وكان بصحبة عمر: قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال له عمر: "دعها"، وفي رواية فقال قائل لعمر: حبستَ الناس لأجل هذه العجوز، فقال عمر: ويحك أوتدري من هذه؟ قال: لا. فقال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها.

قصة أصحاب الأخدود

إنها قصة فتى آمن، فصبر وثبت، فآمنت معه قريته.

لقد كان غلامًا نبيهًا، ولم يكن قد آمن بعد، وكان يعيش في قرية ملكها كافر يدّعي الألوهية، وكان للملك ساحر يستعين به، وعندما تقدّم العمر بالساحر، طلب من الملك أن يبعث له غلامًا يعلّمه السحر ليحلّ محله بعد موته، فاختير هذا الغلام وأُرسل للساحر.

فكان الغلام يذهب للساحر ليتعلم منه، وفي طريقه كان يمرّ على راهب. فجلس معه مرة وأعجبه كلامه، فصار يجلس مع الراهب في كل مرة يتوجه فيها إلى الساحر، وكان الساحر يضربه إن لم يحضر،فشكى ذلك للراهب. فقال له الراهب: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر.

وكان في طريقه في أحد الأيام، فإذا بحيوان عظيم يسدّ طريق الناس، فقال الغلام في نفسه:"اليوم أعلم أيهم أفضل، الساحر أم الراهب"، ثم أخذ حجرًا، وقال: "اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس"، ثم رمى الحيوان فقلته، ومضى الناس في طريقهم، فتوجه الغلام للراهب وأخبره بما حدث، فقال له الراهب: "يا بنيّ، أنت اليوم أفضل مني، وإنك ستُبتلى، فإذا ابتليت فلا تدلّ عليّ".

وكان الغلام بتوفيق من الله يُبرئ الأكمَه والأبرص، ويعالج الناس من جميع الأمراض، فسمع به أحد جلساء الملك، وكان قد فَقَدَ بصره، فجمع هدايا كثيرة وتوجه بها للغلام، وقال له: "أعطيك

جميع هذه الهداية إن شفيتني"، فأجاب الغلام: "أنا لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله تعالى، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن جليس الملك، فشفاه الله تعالى".

فذهب جليس المجلس، وقعد بجوار الملك كما كان يقعد قبل أن يفقد بصره، فقال له الملك: "من ردّ عليك بصرك؟ فأجاب الجليس بثقة المؤمن: ربّي. فغضب الملك وقال: ولك ربّ غيري؟ فأجاب المؤمن دون تردد: ربّي وربّك الله. فثار الملك، وأمر بتعذيبه،فلم يزالوا يعذّبونه حتى دلّ على الغلام".

أمر الملك بإحضار الغلام، ثم قال له مخاطبًا: "يا بنيّ، لقد بلغت من السحر مبلغًا عظيمًا، حتى أصبحت تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل"، فقال الغلام: "إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله تعال"، فأمر الملك بتعذيبه، فعذّبوه حتى دلّ على الراهب.

فأُحضر الراهب وقيل له: "ارجع عن دينك"، فأبى الراهب ذلك، وجيء بمنشار، ووضع على مفرق رأسه، ثم نُشِرَ فوقع نصفين، ثم

أحضر جليس الملك، وقيل له: "ارجع عن دينك"، فأبى، فَفُعِلَ به كما فُعِلَ بالراهب، ثم جيء بالغلام، وقيل له:"ارجع عن دينك"، فأبى الغلام، فأمر الملك بأخذ الغلام لقمة جبل، وتخييره هناك، فإما أن يترك دينه أو أن يطرحوه من قمة الجبل.

فأخذ الجنود الغلام، وصعدوا به الجبل، فدعا الفتى ربه: "اللهم اكفنيهم بما شئت"، فاهتزّ الجبل وسقط الجنود، ورجع الغلام يمشي إلى الملك، فقال الملك: أين من كان معك؟ فأجاب: كفانيهم الله تعالى، فأمر الملك جنوده بحمل الغلام في سفينة، والذهاب به لوسط البحر، ثم تخييره هناك بالرجوع عن دينه أو إلقائه.

فذهبوا به، فدعا الغلام الله: "اللهم اكفنيهم بما شئت"، فانقلبت بهم السفينة وغرق من كان عليها إلا الغلام، ثم رجع إلى الملك، فسأله الملك باستغراب:"أين من كان معك؟"، فأجاب الغلام المتوكل على الله: "كفانيهم الله تعالى"، ثم قال للملك: "إنك لن تستطيع قتلي حتى تفعل ما آمرك به"، فقال الملك: ما هو؟ فقال الفتى المؤمن: أن تجمع الناس في مكان واحد، وتصلبني على جذع،

ثم تأخذ سهمًا من كنانتي، وتضع السهم في القوس، وتقول "بسم الله ربّ الغلام" ثم ارمني، فإن فعلت ذلك قتلتني.

استبشر الملك بهذا الأمر، فأمر على الفور بجمع الناس، وصُلب الفتى أمامهم، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ووضع السهم في القوس، وقال: "باسم الله ربّ الغلام، ثم رماه فأصابه فقتله".

فصرخ الناس: "آمنا بربّ الغلام"، فهرع أصحاب الملك إليه وقالوا: "أرأيت ما كنت تخشاه! لقد وقع، لقد آمن الناس".

فأمر الملك بحفر شقّ في الأرض، وإشعال النار فيها، ثم أمر جنوده، بتخيير الناس، فإما الرجوع عن الإيمان، أو إلقاؤهم في النار، ففعل الجنود ذلك، حتى جاء دور امرأة ومعها صبي لها، فخافت أن تُرمى في النار، فألهم الله الصبي أن يقول لها: "يا أمّاه اصبري فإنك على الحق".

ماشطة ابنة فرعون

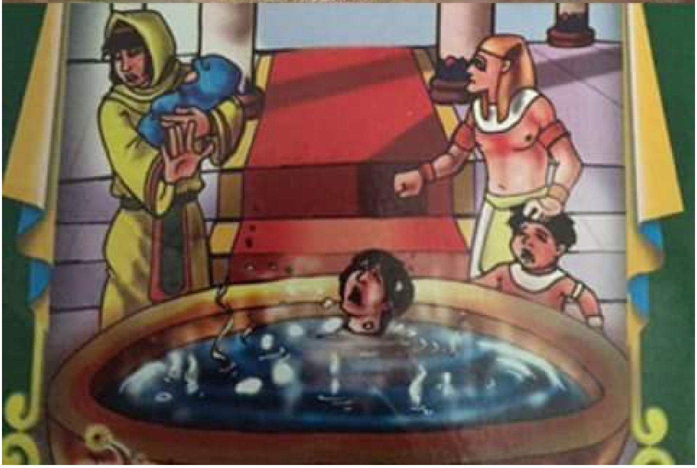

*من قصص القرآن

قصة ماشطة ابنة فرعون وأبنائها الخمسة

لم يحفظ التاريخ اسمها ولكن حفظ فعلها.

هي امرأة صالحة كانت تعيش هي وزوجها في ظل ملك فرعون، زوجها مقرّب من فرعون، وهي خادمة ومربية لبنات فرعون،فمنّ الله عليهمابالإيمان، فلم يلبث فرعون أن علم بإيمانزوجها فقتله، فلم تزل الزوجة تعمل في بيت فرعون تمشط بنات فرعون، وتنفق على أبنائها الخمسة، تطعمهم كما تطعم الطير أفراخها.

فبينما هي تمشط ابنة فرعون يومًا، إذ وقع المشط من يدها، فقالت:بسم الله، فقالت ابنة فرعون: الله أبي؟فصاحت الماشطة بابنة فرعون: كلا بل الله ربي وربُّك وربُّ أبيك، فتعجبت البنت أن يُعبد غير أبيها،ثم أخبرت أباها بذلك، فعجِب أن يوجد في قصره من يعبد غيره،فدعا بها،وقال لها: من ربك؟ قالت: ربي وربك الله.

فأمرها بالرجوع عن دينها وحبسها وضربها، فلم ترجع عن دينها،فأمر فرعون بقدر من نحاس فمُلئت بالزيت ثم أُحميحتى غلى، وأوقفها أمام القدر، فلما رأت العذاب، أيقنت أنها هي نفس واحدة تخرج وتلقى الله تعالى، فعلم فرعون أن أحب الناس أولادها الخمسة، الأيتام الذين تكدح لهم وتطعمهم، فأراد أن يزيد في عذابها فأحضر الأطفال الخمسة تدور أعينهم ولا يدرون إلى أين يساقون؟

فلما رأوا أمهم تعلقوا بها يبكون، فانكبت عليهم تقبلهم وتشمهم وتبكي، وأخذت أصغرهم وضمته إلى صدرها وألقمته ثديها،فلما رأى فرعون هذا المنظر أمر بأكبرهم، فجرّه الجنود ودفعوه إلى الزيت المغلي، والغلام يصيح بأمه ويستغيث، ويسترحم الجنود، ويتوسل إلى فرعون ويحاول الفكاك والهرب، وينادي إخوته الصغار ويضرب الجنود بيديه الصغيرتين وهم يصفعونه ويدفعونه وأمه تنظر إليه وتودّعه.

فما هي إلا لحظات حتى أُلقي الصغير في الزيت والأم تبكي وتنظر، وإخوته يغطون أعينهم بأيديهم الصغيرة، حتى إذا ذاب لحمه من على جسمه النحيل وطفحت عظامه بيضاء فوق الزيت، نظر إليها فرعون وأمرها بالكفر بالله فأبت عليه ذلك فغضب فرعون، وأمر بولدها الثاني، فسُحب من عند أمه وهو يبكي ويستغيث، فما هي إلا لحظات حتى أُلقي في الزيت وهي تنظر إليه، حتى طفحت عظامه بيضاء واختلطت بعظام أخيه، والأم ثابتة على دينها موقنة بلقاء ربها،ثم أمر فرعون بالولد الثالث فسُحب وقرّب إلى القدر المغلي ثم حُمل وغُيّب في الزيت، وفعل به ما فعل بأخويه.

والأم ثابتة على دينها، فأمر فرعون أن يُطرح الرابع في الزيتفأقبل الجنود إليه، وكان صغيرًا قد تعلق بثوب أمه، فلما جذبه الجنودبكى وانطرح على قدمي أمه، ودموعه تجري على رجليها وهي تحاول أن تحمله مع أخيه، تحاول أن تودعه وتقبله وتشمه قبل أن يفارقها فحالوا بينه وبينها، وحملوه من يديه الصغيرتين، وهو يبكي ويستغيث ويتوسل بكلمات غير مفهومة وهم لا يرحمونه.

وما هي إلا لحظات حتى غرق في الزيت المغلي وغاب الجسد وانقطع الصوت وشمت الأم رائحة اللحم.

وعلت عظامه الصغيرة البيضاء فوق الزيت يفور بها، تنظر الأم إلى عظامه وقد رحل عنها إلى دار أخرى.

وهي تبكي وتتقطع لفراقه طالما ضمته إلى صدرها وأرضعته من ثديها طالما سهرت لسهره وبكت لبكائه.

كم ليلة بات في حجرها ولعب بشعرها،كم قربت منه ألعابه، وألبسته ثيابه، فجاهدت نفسها أن تتجلد وتتماسك، فالتفتوا إليها وتدافعوا عليها الطفل الرضيع، وانتزعوا الخامس الرضيع من بين يديها، وكان قد التقم ثديها،فلما انتزع منها صرخ الصغير وبكت المسكينة، فلما رأى الله تعالى ذُلها وانكسارها وفجيعتها بولدها،أنطق الصبي في مهده وقال لها: "يا أماه اصبري فإنك على الحق"، ثم انقطع صوته عنهاوغُيِّب في القدر مع إخوته أُلقي في الزيت وفي فمه بقايا من حليبهاوفي يده شعرة من شعرها وعلى

أثوابه بقية من دمعها،وذهب الأولاد الخمسة، وهاهي عظامهم يلوح بها القدرولحمهم يفور به الزيت، تنظر المسكينة إلى هذه العظام الصغيرة، عظام من ؟ إنهم أولادها الذين طالما ملؤوا عليها البيت ضحكًا وسرورًا، إنهم فلذات كبدها وعصارة قلبها، الذين لما فارقوها كأن قلبها أخرج من صدرها، طالما ركضوا إليها وارتموا بين يديها،وضمتهم إلى صدرها، وألبستهم ثيابهم بيدها، ومسحت دموعهم بأصابعها، ثم هاهم ينتزعون من بين يديها ويقتَلون أمام ناظريهاوتركوها وحيدة وتولوا عنها وعن قريب ستكون معهم.

كانت تستطيع أن تَحَول بينهم وبين هذا العذاب بكلمة كفر تسمِعها لفرعون، لكنها علمت أن ما عند الله خير وأبقى،ثم لما لم يبقَ إلا هي أقبلوا إليها كالكلاب الضارية ودفعوها إلى القدر، فلما حملوها ليقذفوها في الزيت، نظرت إلى عظام أولادها، فتذكرت اجتماعهم معها في الحياة، فالتفتت إلى فرعون وقالت: لي إليك حاجة، فصاح بها وقال: ما حاجتك؟ فقالت: أن تجمع عظامي

وعظام أولادي فتدفنها في قبر واحد ثم أغمضت عينيها وألقيت في القدر واحترق جسدها وطفت عظامها.

فلله درها..ما أعظم ثباتها وأكثر ثوابها، ولقد رأى النبيصلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء شيئًا من نعيمها، فحدّث به أصحابه وقال لهم فيما رواه البيهقي:لما أُسري بي مرت بي رائحة طيبة، قلت: "ما هذه الرائحة؟"، فقيل لي: هذه ماشطة بنت فرعون وأولادُها.

يا لروعة إيمانها، ضحت بأبنائها الخمسة وبنفسها من أجل كلمة التوحيد الله أكبر، تعبت قليلًا لكنها استراحت كثيرًا.مضت هذه المرأةالمؤمنة إلى خالقهاوجاورت ربها.

ويرجى أن تكون اليوم في جنات ونَهر ومقعد صدق عند مليك مقتدر، وهي اليوم أحسن منها في الدنياحالًا.. وأكثر نعيمًا وجمالاً.

وعند البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها".

وروى مسلم أنه (ﷺ) قال: "من دخل الجنة ينعم لا يبؤس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، وله في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذنسمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومن دخل إلى الجنة نسي عذاب الدنيا".

ولكن لن يصل أحد إلى الجنة إلا بمقاومة شهواته، فلقد حُفّت الجنة بالمكاره، وحُفّت الناربالشهوات، فاتباع الشهوات في اللباس والطعام والشراب والأسواق، طريق إلى النار، قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات"، فاتعبي اليوم وتصبَّري لترتاحي غدًا.

فإنه يقال لأهل الجنة يوم القيامة:"سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ"،أما أهل النار فيقال لهم: "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ".

أصحاب الأيكة "قوم مدين"

أصحاب الأيكة هم قبيلة كانت تسكن في شمال غرب الجزيرة العربية وكانوا من العرب القدماء،وتجد آثار منازلهم في مدينة البدع في المملكة العربية السعودية، أطلق عليهم اسم أصحاب الأيكة لأنهم كانوا يعبدون شجر الأيك، واشتهروا بأنهم رعاة للغنم كما كان منهم تجار معروف عنهم الغش في الأوزان، ولقد

ذكر في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى بعث لهم نبيه "شعيب"، وأمرهم بترك الغش في الأوزان وحثهم على المتاجرة الشريفة ولكنهم رفضوا دعوته ولم يؤمنوا بالله، ولم يتركوا المعاصي واستمروا في أعمالهم، والمعروف عنهم أيضًا أنهم كانوا يحفرون منازلهم في الجبال.

لقد ذُكر في القرآن الكريم أن قوم مَدْين كانت مساكنهم قريبة جدًّا من قوم ثمود، وكما ذكر أيضًاأن النبي موسى لجأ إليهم فترة، وصاهرهم كما ورد في القرآن أن قوم مَدين بعث الله لهم نبيه شعيب عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾.

في هذه الآيات يوضح الله سبحانه وتعالى أنه أرسل إلى قوم مَدين "أصحاب الأيكة" نبيًّا منهم، وهو نبي الله شعيب عليه السلام،

ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويأمرهم بترك الغش في الأوزان وتذكيرهم بعذاب الآخرة ولكنهم لم ينتهوا ولم يسمعوا.

تسمية قوم مدين بأصحاب الأيكة:

لقد أطلق الله سبحانه وتعالى على قوم شعيب "قوم مَدين" باسم أصحاب الأيكة في العديد من الآيات القرآنية،ومنها:

"وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ".
"كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ".

"وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ".
"وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ".

ولعل معظم المفسّرين اتفقوا على أن قوم شعيب "قوم مدين"، هم أصحاب الأيكة،أما الأيك فهو الشجر الملتف حول بعضه الذي كان بعض قوم مَدين يعبدونه، كما ذكرالطبري، وقد استشهد هنا بقول النابغة الذبياني:

تجلو بقادمتي حمامة أيكة بردًا أسف لثاته بالإثمد.

كما رجح أن أصحاب الأيكة وقوم مَدين هم أمة واحدة،أرسل الله لهم شعيبًا، وهذا استنادًا إلى قول ابن كثير:"فإن صفات أصحاب الأيكةتنطبق على صفات مَدين، وهي الغش بالوزن، وكذلك الحديث الذي ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه موقوف عليه وليس مرفوعًا للنبي (ﷺ): "ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين. بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ"، وهنا يقصد أو يشير إلى أنه نهاهم عن نقص المكيال والغش بالميزان، وأن لا يفسدوا في الأرض، لأنه كان يُذكر عنهم أنهم قُطّاع طرق، كما أمرهم بوفاء الكيل والوزن.

أما عن قوله بقية الله خير لكم، اختلفت الأقوال هنا، فعن ابن عباس:"رزق اللّه خير لكم"،أما عن الحسن:"رزق اللّه خير لكم من بخسكم الناس"، كما قال الربيع: "وصية اللّه خير لكم"، وفي كل هذا يقصد أن ترك الغش واتباع أوامر الله خير لهم، ويشبه

قول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:"قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث".

*نبي الله شُعيب:

لقد قام شُعيب بالعديد من المحاولات لصد قوم مَدين "أصحاب الأيكة" عما يفعلون ولكن لم ينصتوا إليه أبدًا، فأخذ يقول لهم:"لا تصروا على الكفر والفساد حتى لا يصيبكم ما أصاب قوم نوح وهود عليهما السلام وكذلك قوم صالح وقوم لوط الذين أصابتهم نقمة الله وعذابه"، ولكنهم لم ينتهوا بل قالو له:"ياشعيب إنك ضعيف ولعل هذا لأن يذكر أن شعيب كان ضرير البصر، وبرغم من كل هذا لم يمِل ولم ييأس نبي الله شعيب من دعوته لهم، حتى جاء أمر الله فنجّينا شعيبًا ومن آمن معه برحمة من الله تعالى، أما الذين أظلموا فأخذهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين تعني هامدين لا حراك بهم، قال تعالى: "ولما جاء أمرنا نجّينا شعيبًا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين".

قصة ناقضة الغزل

هي ريطة بنت عمرو بن سعد بن زيد، ورد ذكرها في قوله تعالى: (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا) (النحل ٩٢)، كانت بمكة وكانت خرقاء تغزل هي وجواريها من الغداة إلى نصف النهار، ثم تأمرهن فينقضن جميعًا ما غزلن، فكان هذا دأبها لا تكف عن الغَزل، ولاتبقي ما غزلت.

قصة سيدنا نـــــــوح عليه السلام

بعد إدريس عليه السلام، ظل الناس على التوحيد زمنًا فمنذ وفاة آدم عليه السلام ظل الناس عشرة قرون، والقرن هنا ليس بالضرورة كقرننا مائة عام بل ربما ألف عام، ظلوا سنوات طويلة على التوحيد حتى جاء اليوم الذي تُحقق الشياطين فيه ما أرادت في الأرض، كان هناك رجال صالحـــون في الأرض يعبـــدون الله

عـــــزوجـــل {وَدْ} {سَوَاعْ} {يَغُوْث} {يَعُوق} {نَسَرْ}، هــؤلاء خمسة رجال صالحين كانوا يعبدون الله عز وجل وأحبهم قومهم واتخذوهم قدوة، فلما توفاهم الله جاءت الشياطين إلى قومهم، فقالت لهم لو أنكم صورتم لهم صورًا، اجعلوا لهم تماثيل يُذكِّرونكم بعبادة ربكم، يُشَوِّقونكم لعبادة الله عز وجل،اجعلوا لهم صورًا وتماثيل، الهدف والنية في البداية كانت نية صالحة حتى يُذكّروهم بعبادة الله عز وجل، وفعلًا جعلوا هناك أصنامًا وتماثيل لهم "ود" و"سواع" و"يغوث"و"يعوق"و"نسرا".

ومع الأيام ذهب جيل بعد آخر وتغير الجيل، وبدأ الشيطان يوسوس لهم بأن تلك التماثيل كانت ذا قيمة عند ربهم، ومن المؤكد أنهم كانوا يتخذونها وسيطًا بينهم وبين الله، فإذا بالناس بدؤوا يتوسلون بهم ثم بدؤوا يتبرّكون بهذه الأصنام ثم بدؤوا يعظمون هذه الصور حتى عبدوهم من دون الله عز وجل، وأول من عُبد من دون الله "ود"ولهذا كانت الناس تسمى "عبد وِد"، فهذا "وَدْ" كان رجلًا صالحًا لكنه عُبِدَ من دون الله عز وجل،

وكان هذا أول شرك يقع في الأرض رغم أن بدايته كانت نية خيـــــر، ولذلك ستجد في الإسلام أشياء كثيرة محرمة أو مكروهة "لسد باب الذريعة"، فتلك أشياء قد تكون أولها نية خير لكن قد يدخل فيها الشيطان ويحوّلها لإثم عليك بدلًا من حسنة لك

.

فأرسل الله عز وجل أول رسول إلى الأرض لِيأتي بدين جديد رغم أن أجدادهم كانوا موحّدين، من هو ؟إنه نوح عليه السلام، قال تعالى: (لَقدْ أرْسَلْنَا نُوحًا إلَى قَوْمِهِ فقال يَا قوم أعْبُدُوا الله مَا لَكُمْ مِن إلَهٍ غيْرُه إنِّي أخَافُ عَلَيْكُم عَذاب يَوْمَ عَظِيمٍ)، وكعادة الرسل أول من يتصدى لهم كبار القوم "الملأ"، وهم الذين يملؤون الواجهة، كبار القوم والحكام والأثرياء، فجاؤوا لنوح عليه السلام، تعرفون ماذا قالوا؟ قالوا لنوح عليه السلام:"ومانرى لكم علينا من فضل"، حتى بعد إيمانك أنت ومن معك لم تزد علينا في شيء،لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل عرضوا عليه المال حتى يرجع عما يدعو إليه، وكانوا يذمونه ومن اتبعه بأنهم أراذل الناس وأضعفهم رأيًا (بادي الرأي).

هل رد عليهم نوح عليه السلام؟ وانظروا إلى العجب، الذي يدعو إلى التوحيد وعبادة الله عز وجل، صار هو في ضلال وأنتم يا من تعبدون الأصنام وتشركون بالله، العقلاء؟ أما الذي يدعو إلى عبادة الله في ضلال مبين، كيف رد عليهم نوح دون سبّأو شتم، بل قال:(يَا قوْمِي لَيْسَ بِي ضَلاَلَة وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلُمُونَ)، وقال: (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون).

نحن لا نجبركم على ديننا ليس في الدين إكراه، لن نلزمكم بهذا الدين إن شئتم آمنتم وإن شئتملم تؤمنوا.

(ويا قومي من ينصرني من الله إن تركتهم أفلا تذكرون). افهموا اعقلوا أن هؤلاء الضعفاء إن تركتهم فإن الله سيعاقبني فمن ينصرني من الله إن تركتهم.

ظل قومه يجادلونه لكن دون جدوى وأصروا على تكذيبه ولم يقتصر الأمر على قومه بل وصل إلى أهل بيته، فزوجته وابنهلم يؤمنا بما يدعو إليه.

وكان سيدنا نوح لديه أربعة أبناء،و"يام" كان ابنه الذى كفر واسمه في الكتب السماوية "كنعان".

لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين (٩٥٠ عامًا) يدعو إلى الله ويأمرهم بعبادته وينهاهم عن عبادة الأصنام، كان يدعوهم ليلًا ونهارا، سرًّا وجهرًّا، فلم يزدهم ذلك إلا عنادًا وتكبّرًا.

كلما دعاهم فروا منه بل جعلوا أصابعهم في أذاهم. تخيل إنسانًا تأتيه لتدعوه إلى الله جل وعلا فيغلق أذنيه بأصبعيه، بل أكثر من هذا كانوا يضعون الثياب على الوجوه حتى لا يروا نوحًا عليه السلام، قال تعالى:

(وَإِنّي كُلّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَابِعَهُمْ فِي أذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَواْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرّوا وَاسْتَكْبَرُواْ إسْتِكْبَارًا).

استمر نوح عليه السلام في دعوته إلى الله وهم في عنادهم وإصرارهم واستكبارهم، فلجأ إلى ربه وناجاه بأن ينتصر له ويظهِر الحق.

وانظروا للوقاحة وقمة الكفر (قالُواْ يَا نُوحُ قدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فأتِنَا بِمَا تَعِدُنَا)، وأين العذاب الذي تزعمه؟ هددتنا بعذاب ومر علينا الآن ما يُقارب ألف سنة ما رأينا شيئًا، إن كنت صادقًا نريد أن نرى هذا العذاب، ما يئس نوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عامًا، وهو لم ييأس من قومه بل كانوا يستهزؤون به، رَدَّ عليهم نوح عليه السلام بكل ثقة وجرأة {إِنَّمَا يَأتِيكمْ بِهِ اللهُ إنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ}، لن تعجزوا الله عز وجل إن شاءأنزل عليكم عذابه يُصيبكم، هذا العذاب لن تعجزوه ولن تقاوموا عذابه إذا نزل، ومع هذا زوجته أقرب الناس إليه لم تؤمن به وابنه كذلك، من آمن بنوح عليه السلام قلة قليلة من قومه.

تحدّوا الله، فأوحى إلى نوح أن باب التوبة قد أُقفِل (وَأوحِيَ إلَى نُوحٍ أنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قوْمِكَ إلاّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ فلاَ تَبْتَإِسْ بِمَا كَانُواْ

يَفْعَلُونَ).باب التوبة أُغلق لن يؤمن أحد بعد اليوم حتى زوجتك، حتى ولدك، حتى أقرب الناس لن يؤمن أحد، في هذه اللحظة دعا نوح ربه قال:(رَّبِّي لاَ تَذَرْ عَلىَ الأرض مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا).

هذه رحمة بهم لأن الله عز وجل لو تركهم لازدادوا إثمًا وكفرًا وازداد عذابهم وإذا وُلدوا لم يلدوا إلا الفاجر الكافر (إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا).

دعا نوح على قومه أن يُهلكهم الله عز وجل، فلما دعا عليهم أوحى الله إليه أن يا نوح اصنع السفينة وابدأ بصنعها في الصحراء، سفينة في صحراء قاحلة، هذا أمرالله سيبدأ العذاب لكن أولا اصنع هذه السفينة، ولِمَ السفينة أصلًا؟ ومن أين أصنع سفينة في صحراء؟ من أين لي بالخشب حتى الأشجار لا توجد فيها، لا أخشاب لا أشجار؟ لا أعلم كيف أصنع هذه السفينة؟يُذكر أن ربنا أوحى إليه قبلها بسنين أن يزرع شجرة معينة (على الأغلب هي شجرة الصنوبر)، وظل يرعاها مائة عام من أجل صناعة الفلك .

وقد كان يُقال:"إن السفينة كانت أضخم سفينة صنعت في تاريخ البشرية وهذا طبيعي ومنطقي جدًا، لأنها معجزة سماوية نفذت على يد رسول لكنها بوحي ربّاني".

و كانت مُقسمة إلى ثلاثة طوابق:الأول: للحيوانات والدواب، والثاني للبشر،والثالث للطيور.

فابدأ بصناعتها وإن كانت في الصحراء، وسترى ما سوف يحدث يا نوح، هل سيصنع نوح سفينة في الصحراء؟ وماذا سيفعل إذا صنعها؟ هل تتوقعون أن قومه سيتركونه يصنع هذه السفينة.

الأمر غريب على نبي من أنبياء الله بعد أن كان يدعوهم إلى الله ترك الدعوة وبدأ في صناعة السفينة، وبدأ الناس يمرون عليه ويقولون له:"يانوح أجُنِنْتَ كنت تدعونا إلى دينك ونحن لا نؤمن بك، لكن أن تصنع سفينة في صحراء قاحلة من يفعلها إلا المجانين"، وقالوا:(مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ).

ضحك،استهزاء، سخرية،اتهام بالجنون، ونوح يصبر، بل نوح عليه السلام كان يرد عليهم ردًا يعلمهم أن هناك يومًا سنقف فيه أمام الله عز وجل وترون من الذي يسخر من الآخر (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلّمَا مَرّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنّا فَإِنّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلٌّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ).

والناس سنوات طويلة تتعجب، ما بالُ هذا الرجل بدأ يصنع سفينة في أرض لا نهر فيها ولا بحر.

فأوحى الله عز وجل إلى نوح، هناك علامة إذا ظهرت اركب أنت والذين آمنوا في هذه السفينة، اكتملت السفينة وتم بناؤها في الصحراء، قال الله عز وجل لنوح "أرأيت هذا التّنُورْ الذي تخرج منه النار"، تَنُّوْر وهو غالبًا الفرن يخرج منه نار عند نوح عليه السلام، إذا رأيت الماء يخرج منه، اعلم أن هذه هي العلامة، وهنا سيبدأ العذاب فاركب يا نوح أنت والذين آمنوا في تلك السفينة.

ظل نوح عليه السلام ينتظر العلامة، إنه التنور يراقبه متى يفور الماء فيه فإذا بالعلامة تبدأ، فعلم نوح عليه السلام أن العذاب سيتزل، فأسرع إلى الذين آمنوا، قال لهم اركبوا في السفينة، فنظر الناس إليهم ما بالهم، أجُنّوا؟ أيركبون سفينة في صحراء؟، فركب أهل الايمان وأوحى الله عز وجل لكل الحيوانات ذكرًا وأنثى أن يركب منهم، من كل زوجين اثنان، فبدأت الحيوانات تركب والطيور تقف وأهل الايمان فيها، كلهم تجمعوا في هذه السفينة، وقال: {ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ} لأن العلامة بدأت، لأن العذاب سيتزل الآن (حَتّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ).

فلما ركب السفينة وحمد الله عز وجل، نادى ربه جل وعلا، وقال: {إِنّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ}، فلما ركب أهل الايمان في السفينة والحيوانات معهم والطيور تجمعت، ونظر أهل الكفر لنوح وهم يضحكون عليه، ما باله هل جُنّ نوح والذين آمنوا؟ وبدأ العذاب وبدأت السماء تفتح بالماء

الْمُنْهَمِرِ، لم يكن مطرا عاديًّا بل كَدُلْوٍ يُصَبُّ الماء منه(فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السِّمَاء).المطر بدأ يترل من السماء بغزارة، ليس هذا فقط بل بدأت العيون تتفجر من الأرض، ماء من الأرض وماء من السماء.(فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ السّمَآءِ بِمَاءٍ مّنْهَمِرٍ وَفَجّرْنَا الأرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَآءُ عَلَىَ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)، وإذا بالسفينة تطفو في الماء {وَحَمَلْنَاهُ على ذاتِ ألواحٍ وَدُسُرٍ}، أما أهل الكفر اختبؤوا في بيوهم من هذا المطر الذي سيترل، فإذا الماء يعلو بيوهم، هربوا إلى السطوح، تخيلوا كيف كانت الأم تحمل أولادها وهرب، تخيلوا كيف كان الناس يصعدون إلى الجبال، يرتقون الجبال، يهربون من أي شيء، من هذا الماء الذي يترل من السماء ويتفجر من الأرض ويعلو الطوفان شيئًا فشيئًا، الشيوخ، العجائز، الأطفال، الأم مع أولادها الأب مع زوجته ومع أولاده، كل الناس يهربون ويصرخون في رعب شديد صارت الأمواج بِعُلُوِّ الجبال، أرأيتم إلى الجبال وارتفاعها، هكذا وصلت الأمواج إلى الجبال، والناس يصرخون ويغرقون ويهربون، يبحثون عن أي مرتفع في الأرض، إن عذاب الله نزل، إنها قدرة الله عز وجل، ماذا صنعتم؟ ماذا

فعلتم بعد ألف سنة من استهزائكم على هذا النبي؟ تسخرون منه لِصناعة هذه السفينة في هذه الصحراء، الآن انظروا إلى قدرة الله جل وعلا،تذكّرنوح عليه السلام في هذه اللحظات ابنه "يام"، بدأ يبحث عنه بين المؤمنين ، أين ابني؟ نعم هو لم يؤمن، لكن ربما كان قد أخفى إيمانه، يسأل أبناءه أين أخوكم "يَامْ"؟ "قالوا يا أبانا لم يركب معنا، أخذ وهو على السفينة ينظر في الناس، منهم مَنْ غرق ومَن هرب ومن صعد الجبال، فرأى ابنه من بعيد، فقال: "يابُنَيّ"، رأى ابنه بعيدًا عن الكفار، الكفار في جانب وهو بعيد عنهم،فظن نوح أنه ربما قد أخفى إيمانه {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ}، كان بعيدًا عن الكفار، {يَا بُنَيِّ ارْكَب مَّعَنَا} يابني أدركنا يابني تعال الى السفينة، (يَا بُنَيِّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ).نوح عليه السلام في هذه اللحظاتلم يتمالك نفسه. إنه أب وهذا ابنه إنها العاطفة، إنها الرحمة في القلب لم يستطع أن يتمالك نفسه ينادي ابنه، لكنه العِناد في ابنه،الكِبر، قبح الله الكِبر والعناد، فإذا بابنه يقول:(سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء)، لا زالت هناك جبال لم يغطِها الماء، قال:"سآوي إلى جبل يحميني من الغرق"،فردّ نوح عليه

السلام لأنه يعلم هذا ليس بمطر هذه ليست مياهًا عادية، بل إنه عذاب الله نزل، قال له نوح عليه السلام: {لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاّ مَن رّحِمَ}، فإذا بنوح عليه السلام يراقب ابنه، ابنه يفر إلى الجبل ويرتقي الجبل والماء تحته،ونوح يراقبه ويناديه، لكنه لايبالي، قال الجبل: سيحميني، وإذا بالماء يلفظ ابنه ويُغرِقه (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ)،كم حزن نوح عليه السلام على ابنه، ولكن هذا أمر الله عز وجل، لا شفاعة إنه ابن نبي، أمر الله إذا نزل لا يشفع فيه أحد ولا يرد أمر الله عز وجل أحد، أما أهل الإيمان فقد حمدوا الله عز وجل، وقالوا:(الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي نَجّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ)، لم يبقَ في الأرض حي إلا نوح والذين آمنوا، لم يبقَ في الأرض حي لا من الحيوانات ولا من الإنس. إنه أمر الله عز وجل، إنه الطوفان إنه الماء، جندي من جنود الله عز وجل.

نوح طلب من ربه طلبًا، أخذ يدعو الله عز وجل قال {رَبّ إِنّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي}، مهما حصل لكن يبقى ابني يا رب، القلب يتفطر عليه، قال: {رَبّ إِنّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنّ وَعْدَكَ الْحَقّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}. نسيت يا نوح أن الله عز وجل قال لك لا تخاطبني في

الذين ظلموا، فرد الله عز وجل على نوح قال: (يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ).

هنا استغفر نوح ربه واستعاذ بالله عز وجل من هذا السؤال، قال:{رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ}، {وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنْ الْخَاسِرِينَ}، بعد فترة طويلة من الزمن بعد شهور طويلة ونوح عليه السلام مع الذين آمنوا يصلون، يذكرون الله عز وجل يحمدون الله جل وعلا على ما حدث لهم من نجاتهم في ذلك الموقف العظيم،لكن كيف يعرف الآن أن الطوفان انتهى.

أرسل حمامة فإذا بها تجوب الأرض فرجعت ورأى رجلها مبللة ثم أرسلها بعد زمن، فإذا به يرى على رجلها آثار شجرة زيتون، علم أن الماء بدأ يتناقص ثم بعد زمن رأى في رجلها طينًا، فعلم أن اليابسة بدأت تظهر قيل(يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي

وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ)، تناقص الماء وانتهى الأمر (وغِيضَ الماءُ وقُضي الأمرُ واستَوتْ على الجُودِيّ).

أرسى الله السفينة على جبل "الجـــــودي"في تركيا، فلم يبقَ في الأرض إلا نوح والذين آمنوا ليعمروا الأرض مرة أخرى بإيمانهم وطاعتهم لله.انقطع النسل بعدها من كل الناس، فلم تكن هناك ذرية إلا لنوح عليه السلام وأولاده، فاصطفى الله عز وجل البشر مرة أخرى، قيل {يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ}، فهبط نوح عليه السلام ونجا الله عز وجل الذين آمنوا وأهلك الكافرين.

ومن هنا جاءت تسمية سيدنا نوح بـــ"أبو البشرية الثاني". نستطيع أن نقول:"إنها تسمية معنوية لأن ليس كل من كان معه في السفينة من نسله، لكن معنويًّا هو من بدأت على يديه البشرية من جديد".

ونستطيع أن نقول:"إنها تسمية فِعْلية أيضًا"، لأن هناك روايات تقول:"إن الـــ٨٠ الذين كانوا مع سيدنا نوح أصابهم عُقمفإذا كان الكلام صحيحًا، إذن باقي البشر كلهم جاؤوا من نسل سيدنا

نوح ويصبح لقب أبو البشرية الثاني هو لقب فعلي وليس معنويًّا".

كان لسيدنا نوح أربعة أبناء هم:

- ياممات كافرًا.

- سام سوف يأتي من ذريته سيدنا إبراهيم وهود وصالح وكل الأنبياء المذكورين في القرآن بلا استثناء، وعلى وجه العموم فمن ذريته العرب والفرس والروم الثانية.

- حامن ذريته الحبش والســـــودان.

- يافثمن ذريته الرومالأولى والمغول والترك والصين ويأجوج ومأجوج.

لكن ما الفرق بين الروم الأولى والثانية؟

القصة بدأت من يافث بن نوح، كانت من ذريته الروم الأولى وأصلهم اليونان (المنتسبون لــرومي بن لبطي بن يونان بن يافث بن نوح)،وهؤلاء كانوا وثنيين يعبدون الأصنام، فلما وصلت

الديانة النصرانية لروما ظهر رجل يدعى "قسطنطين" نقل عاصمة الروم للقسطنطينية (اسطنبول حاليًا)وأنشأ الامبراطورية البيزنطية. وتلك هي الروم المذكورة في القرآن التي غُلبت من الفرس (غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون)(آية ٢، ٣: سورة الروم).

هذه هي الروم الثانية وأصلها كان من نسل عيص بن إسحاق بن إبراهيم كما ذكرنا في قصة أبو الأنبياء، وبما أن سيدنا إبراهيم أصلاً من نسل سام، فصار من ذريته الروم الثانية.

وفى النهاية، تلك كلها اجتهادات في تفسير كتاب الله وتدبّر قصصه والله وحده أعلى وأعلم.

قال تعالى "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا".

قصة امرأة فرعون آسية بنت مزاحم

قصة امرأة فرعون آسية بنت مزاحم

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ). "التحريم ١١"

لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون آسية بنت مزاحم،كانت تسأل من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون، فتقول: آمنت برب موسى وهارون، وكان إيمان امرأة فرعون قبل إيمان امرأة خازن فرعون ماشطة ابنته، وعندما أسمع الله آسية كلام روح ابن امرأة خازن فرعون يبشر أمه بما أعده الله لها في الجنة لتصبر على الأذى، وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون، فازدادت إيمانًا ويقينًا وتصديقًا.

فأطلع الله فرعون على إيمانها فخرج على الملأ فقال لهم: "ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟" فأثنوا عليها فقال لهم: إنها تعبد ربًّا غيري، فقالوا له: اقتلها، فأوتد لها أوتادًا فشد يديها ورجليها وألقاها في الشمس، وذلك عندما تبين لفرعون إسلامها، فكانت

امرأةفرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وإذاأذاها حر الشمس أظلتها الملائكة بأجنحتها.

وأرسل إليها فرعون فقال: "انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، وقالت {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} (التحريم)، اختارت الجار قبل الدار، و{وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ} (التحريم ١١)، خلصني منه وما يصدر عنه من أعمال الشر، و{وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (التحريم ١١) فأبصرت بيتها في الجنة، فمضت على قولها، وعندما دعت آسية ربها، وافق ذلك أن حضرها فرعون، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة، فقال فرعون: "ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك"، فقبض الله روحها رضي الله عنها، انتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح ولم تجد ألماً.

كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم، فو الله ما ضرّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها، فإخبار الله لنا بامرأة فرعون ليتبين بقصتها هذه أن المرء معصية غيره لا تضره إذا كان مطيعًا، فقد جعل الله حال امرأة فرعون مثالًا لحال المؤمنين ترغيبًا لهم في الثبات

على الطاعة والتمسك بالدين والصبر في الشدة، وأن صولة الكفر لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون، وقد كانت تحت أكفر الكافرين وصارت بإيمانها بالله في جنات النعيم.

فمن كان واقعًا في معاصٍ وليس في استطاعته هجر المكان الذي فيه أهل المعاصي كمن كان يتعاطى المخدرات في بيته وفيه أخ له يتعاطى معه أو إخوان يتعاطون معه وغير قادر أن يترك البيت ويعيش في مكان آخر وقد ترك المخدرات وتاب لله ويخشى على نفسه الانتكاسة من وجوده معهم في بيت واحد، فهذا عندما يصدُق مع الله في توبته وتركه للسوء فإنه لا تضره معصية غيره، فإن معصية أكفر الكافرين فرعون لم تضر امرأة فرعون بل زادت ثباتًا.

وفي قصة آسية حث للمؤمنين على الصبر في الشدة، فلا يكون المرء في الصبر عند الشدة اضعف من امرأة فرعون حين صبرت على سوء فرعون.

ويحسن الظن في أن الله سوف يعوض صبره خيرًا، فقد فارقت امرأة فرعون رجلًا له أرفع مكانة على وجه الأرض، حاكم بلادهم

ومالكهم فرعونها لمحاربته لله، فعوضها الله بدلًا منه أفضل الخلق أجمعين محمد رسول الله صاحب أرفع مكانة في الآخرة، المقام المرفوع في جنات النعيم،وعوضها عن السيادة في الدنيا مع السوء بأن تكون من أفضل سيدات الجنة.

وقال رسول الله (ﷺ): "سيدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران، فاطمة وخديجة وآسية امرأة فرعون".(٢)

أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع ما قص الله علينا من خبرها في القرآن، قالت: {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا} (التحريم ٣)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام". (٤)

قصة بقرة بنى إسرائيل

قصة بقرة بني إسرائيل

مكث موسى في قومه يدعوهم إلى الله، ويبدو أن نفوسهم كانت ملتوية بشكل لا تخطئه عين الملاحظة، وتبدو لجاجتهم وعنادهم فيما يعرف بقصة البقرة، فإن الموضوع لم يكن يقتضي كل هذه المفاوضات بينهم وبين موسى، كما أنهلم يكن يستوجب كل هذا التعنت، وأصل قصة البقرة أن قتيلًا ثريًّا وُجِد يومًا في بني إسرائيل، واختصم أهله ولم يعرفوا قاتله، وحين أعياهم الأمر لجؤوا لموسى ليلجأ لربه، ولجأ موسى لربه فأمره أن يأمر قومه أن يذبحوا بقرة، وكان المفروض هنا أن يذبح القوم أول بقرة تصادفهم، غير أنهم بدؤوا مفاوضتهم باللجاجة. اتهموا موسى بأنه يسخر منهم ويتخذهم هزوا، واستعاذ موسى بالله أن يكون من الجاهلين ويسخر منهم، أفهمهم أن حل القضية يكمن في ذبح بقرة.

إن الأمر هنا أمر معجزة، لا علاقة لها بالمألوف في الحياة، أو المعتاد بين الناس، ليست هناك علاقة بين ذبح البقرة ومعرفة القاتل في الجريمة الغامضة التي وقعت، لكن متى كانت الأسباب المنطقية هي التي تحكم حياة بني إسرائيل؟ إن المعجزات الخارقة هي القانون السائد في حياتهم، وليس استمرارها في حادث البقرة أمرًا يوحي بالعجب أو يثير الدهشة.

لكن بني إسرائيل هم بنو إسرائيل، مجرد التعامل معهم عنت،تستوي في ذلك الأمور الدنيوية المعتادة، وشؤون العقيدة المهمة، لا بد أن يعاني من يتصدى لأمر من أمور بني إسرائيل، وهكذا يعاني موسى من إيذائهم له واتهامه بالسخرية منهم، ثم ينبئهم أنه جاد فيما يحدثهم به، ويعاود أمره أن يذبحوا بقرة، وتعود الطبيعة المراوغة لبني إسرائيل إلى الظهور، تعود اللجاجة والالتواء، فيتساءلون: أهي بقرة عادية كما عهدنا من هذا الجنس من الحيوان أم أنها خلق تفرد بمزية؟ فليدعُ موسى ربه ليبين ما هي؟ ويدعو موسى ربه فيزداد التشديد عليهم، وتحدد البقرة أكثر من ذي قبل، بأنها بقرة وسط، ليست بقرة مسنة، وليست بقرة فتية، بقرة متوسطة.

إلى هنا كان ينبغي أن ينتهي الأمر، غير أن المفاوضات لم تزَل مستمرة، ومراوغة بني إسرائيل لم تزَل هي التي تحكم مائدة المفاوضات، ما هو لون البقرة؟ لماذا يدعو موسى ربه ليسأله عن لون هذا البقرة؟ لا يراعون مقتضيات الأدب والوقار اللازمين في حق الله تعالى وحق نبيه الكريم، وكيف أنهم ينبغي أن يخجلوا من تكليف موسى بهذا الاتصال المتكرر حول موضوع بسيط لا

يستحق كل هذه اللجاجة والمراوغة، ويسأل موسى ربه ثم يحدثهم عن لون البقرة المطلوبة، فيقول:إنها بقرة صفراء، فاقع لونها تسر الناظرين.

وهكذا حددت البقرة بأنها صفراء، ورغم وضوح الأمر، فقد عادوا إلى اللجاجة والمراوغة، فشدد الله عليهم كما شددوا على نبيه وآذوه، عادوا يسألون موسى أن يدعو الله ليبين ما هي؟ فإن البقر تشابه عليهم،وحدثهم موسى عن بقرة ليست معدة لحرث ولا لسقي، سلمت من العيوب، صفراء لا شية فيها، بمعنى خالصة الصفرة، انتهت بهم اللجاجة إلى التشديد،وبدؤوا بحثهم عن بقرة بهذه الصفات الخاصة، أخيرًا وجدوها عند يتيم فاشتروها وذبحوها.

وأمسك موسى جزءًا من البقرة (وقيل لسانها) وضرب به القتيل فنهض من موته، سأله موسى عن قاتله فحدثهم عنه (وقيل أشار إلى القاتل فقط من غير أن يتحدث) ثم عاد إلى الموت، وشاهد بنو إسرائيل معجزة إحياء الموتى أمام أعينهم، استمعوا بآذانهم إلى اسم القاتل، انكشف غموض القضية التي حيرتهم زمنًا طال بسبب لجاجتهم وتعنتهم.

نود أن نلفت انتباه القارئ إلى سوء أدب القوم مع نبيهم وربهم، ولعل السياق القرآني يورد ذلك عن طريق تكرارهم لكلمة "ربك" التي يخاطبون بها موسى، وكان الأولى بهم أن يقولوا لموسى، تأدبًا، لو كان لا بد أن يقولوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ادعُ لنا ربنا، أما أن يقولوا لهذلك فكأنهم يقصرون ربوبية الله تعالى على موسى.

ويخرجون أنفسهم من شرف العبودية لله. انظر إلى الآيات كيف توحي بهذا كله، ثم تأمل سخرية السياق منهم بمجرد إيراده لقولهم: ﴿الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾، بعد أن أرهقوا نبيهم ذهابًا وجيئة بينهم وبين الله عز وجل، بعد أن أرهقوا نبيهم بسؤاله عن صفة البقرة ولونها وسنّها وعلاماتها المميزة، بعد تعنتهم وتشديد الله عليهم، يقولون لنبيهم حين جاءهم بما يندر وجوده ويندر العثور عليه في البقر عادة.

ساعتها قالوا له: "الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ"، كأنه كان يلعب قبلها معهم، ولم يكن ما جاء هو الحق من أول كلمة لآخر كلمة، ثم انظر إلى ظلال السياق وما تشي به من ظلمهم ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ ألا توحي لك ظلال الآيات بتعنتهم وتسويفهم ومماراتهم ولجاجتهم في الحق؟ هذه اللوحة الرائعة تشي بموقف بني إسرائيل على موائد المفاوضات. هي صورتهم على مائدة المفاوضات مع نبيهم الكريم موسى.

*القصة المؤكدة من معظم العلماء والشيوخ:

أن اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة والشعوذة التي كانت تُقْرَأ في زمن مُلك سليمان عليه السلام.

كانتِ الشياطين تصعدُ إلى الفضاءِ فتصلُ إلى الغمام والسحابِ، حيثُ يسترقونَ السمعَ من كلامِ الملائكةِ الذين يتحدَّثونَ ببعض ما سيكونُ بإذن الله في الأرضِ من موتٍ أو أمر أو مصائب، فيأتون الكهنَة الكفار الذين يزعمون بأنّهم يعلمون الغيبَ ويُخبرونهم، فتُحدّثُ الكهنةُ الناسَ فيجدونه كما قالوا، فلما ركنَت إليهم الكهنة، أدخلوا الكذبَ على أخبارهم فزادوا مع كل كلمةٍ سبعين كلمة، وقد دوّنوها في كتب يقرؤونها ويعلّمونها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان عليه السلام، حتى قالوا:"إن الجن والشياطين تعلم الغيب"، وكانوا يقولون هذا علم سليمان عليه السلام، وما تمَّ لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الجن والإنس والطير والريح.

فأنزل الله هذين الملكين "اثنين من الملائكة"، هاروت وماروت لتعليم الناس السحر ابتلاءً من الله وللتمييز بين السحر والمعجزة وظهور الفرق بين كلام الأنبياء عليهم السلام وبين كلام السحرة. وما يُعلِّم هاروت وماروت من أحدٍ حتى ينصحاه، ويقولا له إنما نحن ابتلاء من الله، فمن تعلم منا السحر واعتقده وعمل به كفر، ومن تعلَّم وتوقَّى عمله ثبت على الإيمان.

فيتعلم الناس من هاروت وماروت علم السحر الذي يكون سببًا في التفريق بين الزوجين، بأن يخلق الله تعالى عند ذلك النفرة والخلاف بين الزوجين، ولكن لا يستطيعون أن يضروا بالسحر أحدًا إلا بإذن الله تعالى، لأن السحر من الأسباب التي لا تؤثر بنفسها بل بأمره تعالى ومشيئته وخلقه.

فيتعلم الناس الذي يضرهم ولا ينفعهم في الآخرة لأنهم سخروا هذا العلم لمضرة الأشخاص.

ولقد علم اليهود أن من استبدل الذي تتلوه الشياطين من كتاب الله ليس له نصيب من الجنة في الآخرة، فبئس هذا العمل الذي فعلوه.

والخلاصة: أن الله تعالى إنما أنزلهما ليحصل بسبب إرشادهما الفرق بين الحق الذي جاء به سليمان وأتم له الله به ملكه، وبين الباطل الذي جاءت الكهنة به من السحر، ليفرق بين المعجزة والسحر. وقد اختار اليهود الاشتغال بالسحر، واستبدلوه بكتاب الله وآياته المنزلة في القرآن والتوراة، وصدق القرآن المنزل عليه من رب العالمين، ولبئس البديل الذى اختاروه وفضلوه على الإيمان وهو السحر، ولو أنهم آمنوا واتقوا، لكان خيرًا لهم.

- مـــلاحـــظـــه: إن ورد غير ذلك في شأن هذه القصة فلا يستبعد أن يكون من الروايات الإسرائيلية.

قصة الملكين هاروت وماروت

قصة الملكين هاروت وماروت

سبب ذكر قصة "هاروت وماروت" في القرآن الكريم، أن يهود المدينة كانوا لا يسألون النبيمحمد صلى الله عليه وسلم عن شيء من التوراة، إلا أجابهم عنه،حيث سألوه عن السحر، فأنزل الله تعالى هذه القصة.

وقال بعضهم:"إنه لما ذكر نبي الله سليمان عليه السلام في القرآن قالت يهود المدينة: "ألا تعجبون لــمحمد يزعم أن ابن داود كان نبيًّا؟!".

والله ما كان إلا ساحرًا، فأنزل الله هذه الآية ليكذب أقوالهم وليبرئ رسوله الكريم سليمان بن داود عليهما السلام مما ينسِبون إليه.

قصة حزقيل

قصـــة حزقيـــل

موقع القصة في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: في سورة البقرة (الآية٢٤٣): (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ).

*القصـــة:

قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه:"إن كالب بن يوفنا لما قبضه الله إليه بعد يوشع، خلف في بني إسرائيل حزقيل بن بوذى وهو ابن العجوز وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه فيما بلغنا، قال تعالى:(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ).

قال ابن إسحاق فروا من الوباء فنزلوا بصعيد من الأرض، فقال لهم الله: "موتوا، فماتوا جميعًا فحظروا عليهم حظيرة دون السباع فمضت عليهم دهور طويلة، فمر بهم حزقيل عليه السلام".

فوقف عليهم متفكرًا فقيل له: "أتحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر؟ فقال: نعم، فأمر أن يدعو تلك العظام أن تكتسي لحمًا وأن يتصل العصب بعضه ببعض، فناداهم عن أمر الله له بذلك، فقام القوم أجمعين وكبروا تكبيرة رجل واحد".

وقال أسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾.

قالوا: كانت قرية يقال لها: "داوردان"، قبل "واسط" وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها فهلك من بقي في

القرية وسلِم الآخرون فلم يمت منهم كثير، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين، فقال الذين بقوا: "أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم".

فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفًا حتى نزلوا ذلك المكان وهو واد أفيح، فناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه:أن موتوا، فماتوا حتى إذا هلكوا وبقيت أجسادهم مر بهم نبي يقال له: حزقيل،فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوى شدقيه وأصابعه،فأوحى الله إليه: "أتريد أن أريك كيف أحييهم؟" قال: نعم، وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم فقيل له: نادِ، فنادى: يا أيتها العظام إن الله يأمركِ أن تجتمعي، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض حتى كانت أجسادًا من عظام ثم أوحى الله إليه؛ أن نادِ: يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحمًا، فاكتست لحمًا ودمًا وثيابها التي ماتت فيها، ثم قيل له: نادِ، فنادى: أيتها الأجساد إن الله يأمرك أن تقومي. فقاموا.

قال أسباط: "فزعم منصور عن مجاهد أنهم قالوا حين أُحيوا: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى، سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبًا إلا عاد كفنًا دسمًا حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم.

وعن ابن عباس؛ أنهم كانوا أربعة آلاف، وعنه: ثمانية آلاف، وعن أبي صالح: تسعة آلاف،وعن ابن عباس أيضًا: كانوا أربعين ألفًا، وعن سعيد بن عبد العزيز: كانوا من أهل "أذرعات"، وقال ابن جريج عن عطاء: هذا مثل، يعني أنه سيق مثلًا مبينًا أنه لن يغني حذر من قدر، وقول الجمهور أقوى؛ أن هذا وقع.

وقد روى الإمام أحمد وصاحبا "الصحيح" من طريق الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء وقع بالشام، فذكر الحديث، يعني في مشاورته المهاجرين والأنصار، فاختلفوا

عليه فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبًا ببعض حاجته، فقال: إن عندي من هذا علمًا؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه وإذا سمعتم به بأرض؛ فلا تقدموا عليه فحمد الله عمر ثم انصرف".

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج ويزيد المعني، قالا: حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن سالم عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو في الشام عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه، قال: فرجع عمر من الشام، وأخرجاه من حديث مالك عن الزهري بنحوه.

قال محمد بن إسحاق: ولم يذكر لنا مدة لبث حزقيل في بني إسرائيل، ثم إن الله قبضه إليه، فلما قبض نسي بنو إسرائيل عهد الله إليهم، وعظمت فيهم الأحداث وعبدوا الأوثان، وكان في جملة ما يعبدونه من الأصنام صنم يقال له: بعل، فبعث الله إليهم إلياس

بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، قلت: وقد قدمنا قصة إلياس تبعًا لقصة الخضر؛ لأنهما يقرنان في الذكر غالبًا، ولأجل أنها بعد قصة موسى في سورة "الصافات" فتعجلنا قصته لذلك، والله أعلم. قال محمد بن إسحاق فيما ذكر له عن وهب بن منبه قال: ثم تنبأ فيهم بعد إلياس وصيه اليسع بن أخطوب، عليه السلام.

خـــــاتمـــــة

يتميَّز كتاب الله تعالى بأنه يخاطب العقل والروح معًا، فيتحدث عن الحقائق العلمية وبالوقت نفسه يدعم هذه الحقائق بالهدف منهـــا، وهو الوصول إلى الله تعالى، أي يتخذ من الحقيقة العلمية وسيلة للتقرب من الخالق جلَّ شأنه.

وكلما اكتشف العلماء حقائق علمية جديدة كان للقرآن السَّبق في ذلك، فنحن في كتاب الله أمام معجزة متجددة تناسب كل زمان ومكان، فالقرآن كتاب مُعجِزٌ للبشر جميعًا كلّ حسب اختصاصه.

فمن أحبَّ أن يعرف نبأ السابقين فليقرأ القرآن، ومن أحبَّ أن يدرك الحقيقة الحاضرة فسيجدها في هذا القرآن، ومن أراد أن يُبحر إلى عالم المستقبل فعليه أن يفتح قلبه أمام هذا القرآن،والميزة التي تميزت بها معجزة سيد البشر عليه الصلاة والسلام، أنها معجزة مستمرة ومتجددة تأتي في كل عصر بإعجاز جديد يناسب لغة هذا العصر.

فجميع المعجزات السابقة لرسالة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كانت محددة في زمان ومكان، بينما المعجزة القرآنية تجاوزت حدود الزمان والمكان وحتى حدود اللغة، إن الذي يتأمل

مخلوقات هذا الكون والنظام المحكم الذي قدره الله تعالى لكل نجم وكل مجرة وحتى كل ذرة، يدرك عظمة الخالق سبحانه وتعالى، ويدرك أن الله أكبر وأعظم من أي شيء.

وهذا هو هدف التفكر في خلق الله تبارك شأنه، فالمؤمن الذي أحبَّ الله ورضي به ربًّا لا بد أن يكون في شوق لمعرفة المزيد عن هذا الإله العظيم، والتفكر في خلق الله هو وسيلة لمعرفة من هو الله!

فهذه دعوة لتدبر كتاب الله، فالقرآن الكريم ليس تميمة توضع تحت المخدة للتبرك بها ولكنه سلوكيات ومنهج حياة، فيجب الوقوف عند حدوده والالتزام بأوامره فهو حبل الله الذي لا ينقطع، من اعتصم به نجا بنفسه من النار و الله جل و علا يقول: (قوا أنفسكم و أهليكم نارًا).

فيقول الشافعي رحمه الله:

جسمي على البرد لا يقوى ولا على شدة الحرارة

فكيف يقوى على نار وقودها الناس والحجارة

فالرسول (ﷺ) أخبرنا بأننا إن تشبثنا بالقرآن والسنة فلن نضِل بعده أبدًا.

لماذا نقول إننا نحب الله ونحن نعصاه، ونقول إننا نكره الشيطان ونحن له مطيعون له مطأطئو رؤوسنا لجنده؟ إن المحب لمن يحب مطيع.

لماذا نحب سماع الأغاني في سياراتنا ونكره سماع القرآن؟ ولا يجتمع كلام الله وكلام الشيطان في قلب واحد،لماذا نذكر عيوب الناسوننسى عيوبنا؟

لماذا نبكي من أغنية هجر ولوعة ولا نبكي عند سماعنا للقرآن ومن خشية الله؟ والله حرم النار على عين بكت من خشية الله.

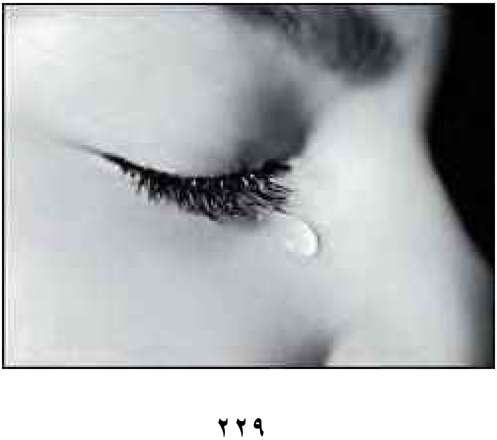

لماذا نغضب إذا انتهكت حرماتنا ولو بكلمة ولا نغضب إذا انتهكت حرمات الله؟

فلنفكر سويًّا..

هل سنحاول أن نغيّر أحوالنا أم سنكون إمّعة ونقف كالببغاء نردد ونتبع غيرنا ولا نعرف أننقود حتى أنفسنا.

علينا أن نضع شيئًا واحدًافيأذهاننا وهو أن الله يراقبنا،وسنموت بمفردنا ونُسأل بمفردنا ونُبعث بمفردنا.

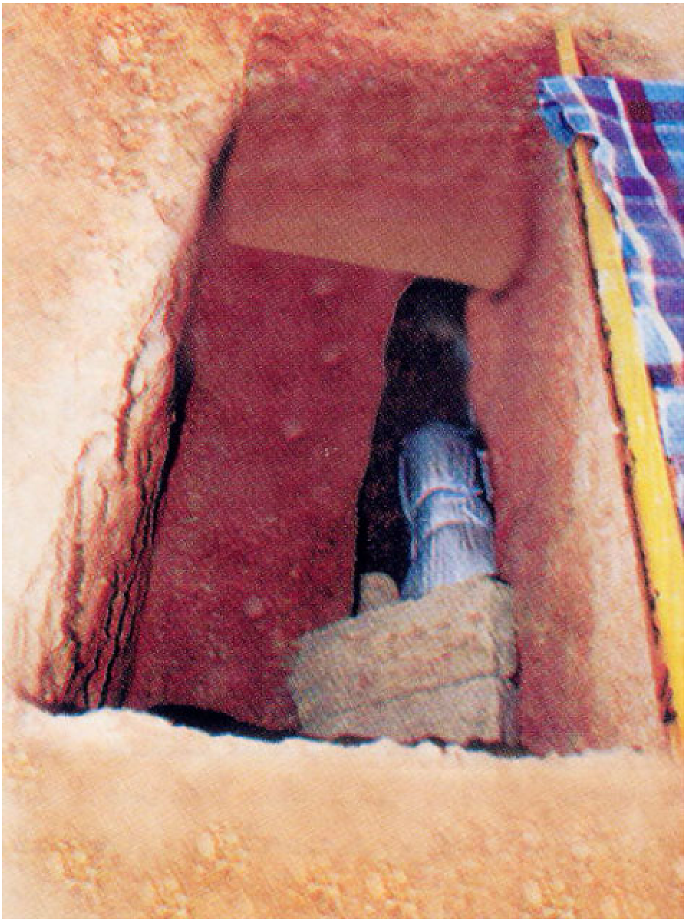

وسندخل الجنة أو النار بمفردنا، فما لنا ومال الناس؟ ماذا يفعـــلون ؟

فلننجُ بأنفسنا فطالما حرصنا فيما فات أن نلبى رغبات أنفسنا الدنيوية.

فمن المؤكد لو أن أنفسنا تتحدث لقالت: "أرجوك لا تلقني في النار".

ما قاله غير المسلمين عن نبينا محمد ﷺ

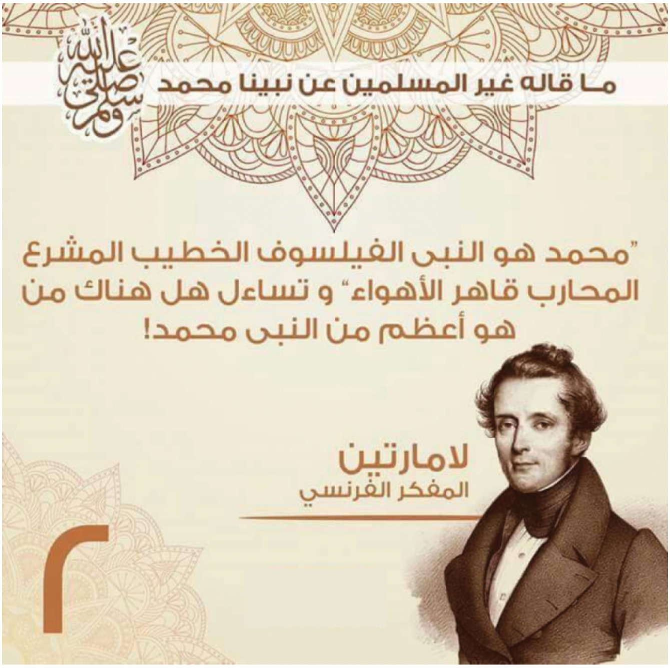
ما قاله غير المسلمين عن نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم
"محمد هو النبى الفيلسوف الخطيب المشرع
المحارب قاهر الأهواء" و تساءل هل هناك من
هو أعظم من النبى محمد!
لامارتين
المفكر الفرنسي
٢

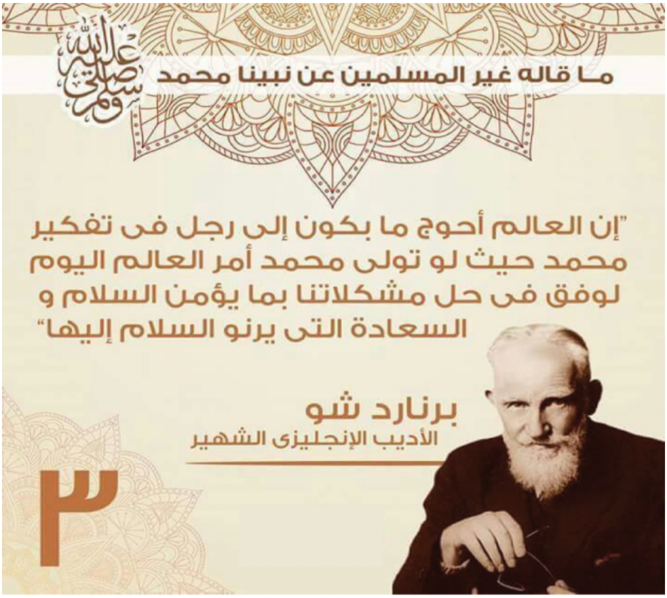
ما قاله غير المسلمين عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
"إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل فى تفكير محمد حيث لو تولى محمد أمر العالم اليوم لوفق فى حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام و السعادة التى يرنو السلام إليها"
برنارد شو
الأديب الإنجليزى الشهير
٣

مـا قاله غير المسلمين عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
"الرجل الوحيد فى التاريخ كله الذى نجح أعلى نجاح على المستويين الدينى و الدنيوى" ألف مايكل كتاب الخالدون المئة ووضع على رأسهم سيدنا محمد ﷺ قبل إسحق نيوتن والمسيح عيسى (مع العلم ان الكاتب مسيحي)
مايكل هارد
مؤلف كتاب (الخالدون المئة)
٤

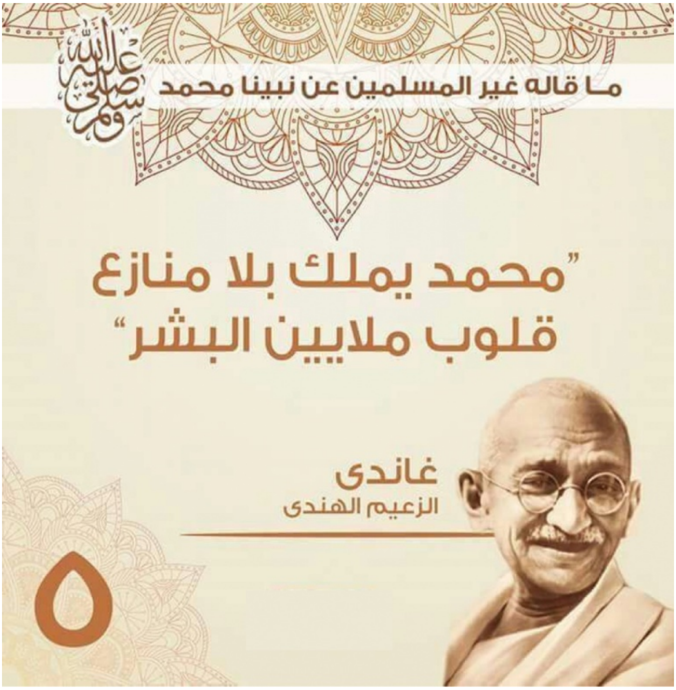
صلى الله عليه وسلم
مـا قاله غير المسلمين عن نبينا محمد
"محمد يملك بلا منازع
قلوب ملايين البشر"
غاندى
الزعيم الهندى
٥

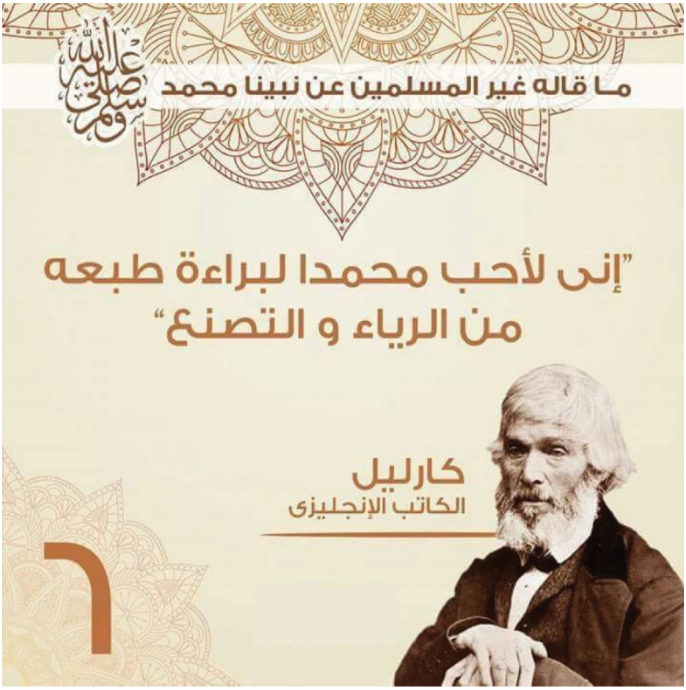
صلى الله عليه وسلم
مـا قاله غير المسلمين عن نبينا محمد
"إنى لأحب محمدا لبراءة طبعه
من الرياء و التصنع"
كارليل
الكاتب الإنجليزى
١

صلى الله عليه وسلم
مـا قاله غير المسلمين عن نبينا محمد
"محمد أقوى من أقام دولة
للعدل و التسامح"
جورج ويلز
الأديب البريطانى
7

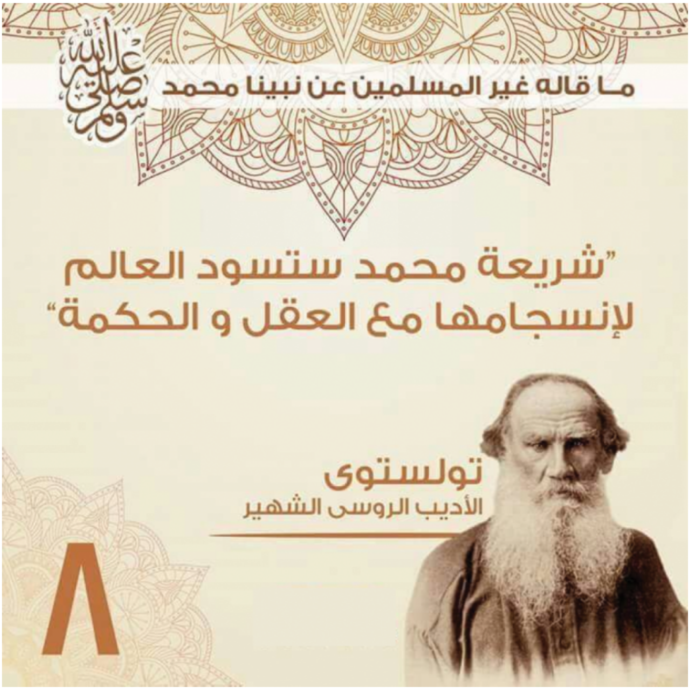
صلى الله عليه وسلم
ما قاله غير المسلمين عن نبينا محمد
"شريعة محمد ستسود العالم
لإنسجامها مع العقل و الحكمة"
تولستوى
الأديب الروسى الشهير
٨

صلى الله عليه وسلم
مـا قاله غير المسلمين عن نبينا محمد
"محمد أعظم رجال التاريخ"
غوستاف لوبون
المؤرخ الفرنسى
٩

المصـــادر

[1]القرآن الكريم.

[2] الشوكاني في فتح القدير ٢٥٣/٥ عزاه للطبراني وابن مردويه.

[3] الطبراني ١٢٧٩، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٣/٤.

[4] أحمد ٢٩٣/١ وصحح إسناده أحمد شاكر ٢٦٦٨والحاكم ٤٩٧/٢ وصححه، صححه الألباني في صحيح الجامع ١١٢٩.

[5] البخاري ٣٤١١.

[6] كتب ومؤلفات الدكتور زغلول النجار في الإعجاز العلمي.

الفهرس

مقدمة ٧

أولاً: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. ٩

ثانياً: بعض قصص وعبر في القران الكريم. ٤٣

- قصة أصحاب السبت. ٤٥
- قصة قارون وكنوزه. ٥١
- قصة أصحاب الكهف. ٥٧
- قصة أصحاب الجنة. ٦٥
- قصة اصحاب الفيل. ٧٥
- قصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر. ٨٣
- قصة يأجوج ومأجوج. ١٠٥
- قصةذي القرنين. ١١٥
- قصة العزيز وحماره. ١٢٣

- قصة قوم تبع. ١٣٣
- قصة قوم عاد و نبي الله هود. ١٣٩
- قصة أصحاب الرس. ١٤٣
- خولة بنت ثعلبة. ١٥٣
- قصة أصحاب الأخدود. ١٥٩
- قصة ماشطة ابنة فرعون. ١٦٥
- قصة أصحاب الأيكة "قوم مَدْيَن". ١٧٥
- قصة ناقضة الغزل. ١٨١
- قصة سيدنا نوح عليه السلام. ١٨٣
- قصة امرأة فرعون آسية بنت مزاحم. ٢٠١
- قصة ناقضة الغزل. ٢٠٧
- قصة الملكين هاروت وماروت. ٢١٥
- قصة حزقيل. ٢١٩
- خاتمــــــة. ٢٢٧

د. وائل سعد الجرساني

٢٠١٧/١/٨م

رقم الإيداع : **٢٣٢٠ / ٢٠١٧**

I.S.B.N: 978-977-6338-32-6

للتواصل مع الدكتور المؤلف

00201062107720

000201205350192

Wael201283@gmail.com

https://www.facebook.com/wael.saad.ahmed